الفصل الثالث

الملامح الإسلامية في شعر المتنبي
وبروز الشخصية الإسلامية في شعره

أ ـ عقيدة المتنبي:

١ ـ الإيمان بالله الخالق.

٢ ـ الإيمان بالملائكة والشياطين.

٣ ـ الإيمان بالأنبياء والكتب السماوية.

٤ ـ الإيمان باليوم الآخر.

ب ـ الرابطة الدينية عند المتنبي.

جـ ـ اقتباس المتنبي من القرآن الكريم وتأثره به.

د ـ الفقه عند المتنبي.

هـ ـ التصوف الإسلامي.

و ـ شعر الجهاد.

ز ـ هل كانت الحروب الحمدانية البيزنطية حروباً صليبية؟

الفصل الثالث

عقيدة المتنبيّ

قبل أن أتحدث عن عقيدة الشاعر عَلَيّ أن أوضّح مفهوم العقيدة.

العقيدة في اللغة لها عدة معان: فتأتي بمعنىٰ الصدق والثبات نقول: اعتقد بينهما الإخاء، أي صدق وثبت. وتأتي بمعنىٰ الصلابة، تقول: اعتقد النوّى، أي صلب. وتأتي بمعنىٰ اللزوم مثل الخيل معقود في نواصيها الخير، أي ملازم، فأساس التسمية في اللغة هو ما انعقد عليه القلب.

والعقيدة هي الإيمان، ومعنىٰ الإيمان هو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل لأنه إذا كان التصديق من غير دليل لا يكون إيماناً إذ لا يكون تصديقاً جازماً إلاّ إذا كان ناجماً عن دليل فإن لم يكن له دليل لا يتأتىٰ فيه الجزم، فيكون تصديقاً فقط لخبر من الأخبار ولذا فلا يُعدّ إيماناً وعليه فلا بد أن يكون التصديق عن دليل حتىٰ يكون جازماً أي حتىٰ يكون إيماناً وكذلك لا بد أن يكون هذا التصديق جازماً حتىٰ يكون عقيدة، فإنْ لم يكن جازماً لم يكن إيماناً ولا يُعدّ عقيدة وكذلك لا بد أن يكون هذا التصديق مطابقاً للواقع حتىٰ يكون إيماناً أي عقيدة، فإن لم يكن مطابقاً للواقع فلا يكون إيماناً.

والعقائد والأحكام الشرعية كلّها أفكار فـ«لا إله إلا الله» فكر، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] فكر، والفرق بينهما هو أن الحكم الشرعي متعلّق بفعل العبد، أما العقيدة فهي ما طلب الإيمان به، فكل ما كان من أفعال العباد، وما طلب فيه العمل يُعدّ من الأحكام الشرعية وكل ما لم يكن متعلّقاً بأفعال العباد أو ما طلب فيه الإيمان يُعدّ من العقائد، علىٰ أنه يمكن تمييز الفكر ومعرفة كونه من العقائد أو من الأحكام الشرعية من النظر إلىٰ دليله فإن كان الدليل متعلّقاً بأفعال العباد كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهو من الأحكام

الشرعية، وإن كان الدليل خطاباً متعلقاً بأفعال العباد وطلب فيه الإيمان كقوله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، فهو من العقائد. فنصب خليفة للمسلمين، وجهاد الكفار من الأحكام الشرعية، وعصمة الأنبياء، والعذاب يوم القيامة ونعيم الجنة من العقائد.

والأحكام الشرعية يجوز أن يكون دليلها ظنّياً ويجوز أن يكون قطعيّاً بخلاف العقائد فإنه يجب أن يكون دليلها قطعياً، ولا يجوز أن يكون ظنياً بحال من الأحوال فالعقائد لا تؤخذ إلا عن يقين. وكذلك عرفوا العقيدة بأنها فكرة كلّيّة عن الكون والإنسان والحياة وعمّا قبل الحياة الدنيا وهو الإيمان بالله تعالىٰ وعمّا بعدها وهو الإيمان باليوم الآخر وعن علاقتها بما قبلها وهي الخلق وبما بعدها وتشمل الإيمان بالملائكة والنّبيِّين والكتب المنزلة.

والفكرة الكلية التي حدّدها الإسلام عن الكون والإنسان والحياة هي الفكرة الصحيحة المطابقة للواقع الثابتة بالدليل العقلي الجازم ولا تصل هذه الفكرة لدىٰ الفرد إلىٰ منزلة العقيدة إلا إذا آمن بها إيماناً ناشئاً عن دليل عقلي جازم.

أركان العقيدة الإسلامية:

١ ـ الإيمان بالله.
٢ ـ الإيمان بالملائكة.
٣ ـ الإيمان بالكتب السماوية.
٤ ـ الإيمان بالرسل.
٥ ـ الإيمان باليوم الآخر.
٦ ـ الإيمان بالقدر.

١ ـ الإيمان بالله الخالق:

الإيمان بالله تعالىٰ هو: الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية وهو أعظم أمر في هذا الدين إذْ يتفرع عنه كل ما في الإسلام من مناهج الإصلاح والخير

والهدىٰ، والإيمان بالله هو المحور الذي ترتكز عليه رسالات الأنبياء جميعاً فكان الإسلام متفقاً مع الرسالات الإلٰهية السابقة في دعوته إلىٰ الإيمان بالله، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فهل كان المتنبي مؤمناً بالله؟ هذا ما سنراه في شعره.

إنّ دراستي لديوان أبي الطيب تثبت إسلام هذا الرجل، فإنَّ ما في شعر هذا الشاعر يوحي بأنه قويّ الإيمان، عميق النظرة في عقيدته، فاهمٌ لدقائق شريعتها.

إنّ أبا الطيب في أثناء وجوده في كتّاب أشراف العلويّين، حفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم، وكان لذلك أثر كبير في تكوينه الخلقي والفكري[١].

لقد كان أبو الطيب في أوّل أمره متورعاً[٢]، اسمعه يقول:

تَغَـرَّب لا مُسْتَعْظِمـاً غَيـرَ نَفْسِـه ولا قـابِـلاً إلاّ لخـالِقِـهِ حُكْمـا[٣]

كان أبو الطيب لا يخرج عن حدود الوقار مُتّزناً، لا يلين للشهوات، ولا يلقي إليها مقاده، مترفّعاً عن سفساف الأخلاق، متمسّكاً بتعاليمها، آخِذاً نفسه بالجِدِّ الذي لا يفتر، كان لا يقرب التهم ولا يدانيها.

قال علي بن حمزة[٤]: «بلوت من أبي الطيب بثلاث خلال حميدة وتلك ما كذب ولا زنا ولا لاط ولا أتىٰ أمراً منكراً يُؤخذ عليه، خالف الأُدباء من أهل عصره فما شرب الخمر ولا حمل وزرها، كان منصرفاً إلىٰ العلم قارئاً له محقّقاً لدقائقه طويل النظر والتدبر فيما يمر به من أحداث الزمان، كثير الاهتمام بأمر الأمة الإسلامية التي هو فيها»[٥].

---

(١) بلاشير: أبو الطيب المتنبي ص٤٢-٤٣.

(٢) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٠٧.

(٤) علي بن حمزة: كان من أئمة العربية، مات في رمضان سنة ٣٧٥هـ في صقلية ولمّا دخل المتنبي بغداد سنة ٣٥٢ كان بها علي بن حمزة فنزل المتنبي في داره وقرأ عليه.
محمود شاكر: المتنبي جـ١ ص٣٩.

(٥) محمود شاكر: المتنبي جـ١ ص٣٩.

إنّ أبا الطيب يُؤمن بالله الواحد الأحد الذي يقضي بالنّصر لمن شاء من عباده وبالهزيمة لمن رغب.

إنّ شاعرنا لم يُتَّهم بإلحاد ولا زندقة إذا استثيينا ما اتّهِم به في أول حياته من ادّعاء النّبوّة.

ومن حُسْن حظ أبي الطيب أنَّ أحداً من دارسيه لم يُنْكر عليه الركن الأول من أركان الإسلام وهو شهادة أنْ لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فهو لم تَبْدُر منه بادرةَ إنكار الذات الإلٰهية وقد أكّد هذه الحقيقة أكثر الباحثين من قدماء ومحدثين.

فقد أكد المعري[١] والجُرجاني[٢] وعزام[٣] وشعيب[٤] وسهيل عثمان ومنير كنعان[٥] وهادي نهر[٦] تورعه وثبوت معتقده في الله.

وإليكَ بعض الأبيات التي تبرهن صحة قولنا:

قال من قصيدة يهجو كافوراً[٧]:

مـا أقـدَرَ اللهَ أنْ يُخْـزِيَ خليقَتَـهُ ولا يُصَدِّقَ قَوْماً في الذي زَعموا[٨]

---

(١) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبد الرحمٰن ص٤٢٢-٤٢٦.

(٢) القاضي الجرجاني: الوساطة، تحقيق: أحمد عبد الرحمٰن الزين ص٥٧.

(٣) عبد الوهاب عزام: ذكرىٰ أبي الطيب بعد ألف عام ص٢٣٨-٢٤٢.

(٤) محمد عبد الرحمٰن شعيب: المتنبي بين ناقديه ص٣٤١-٣٤٨.

(٥) سهيل عثمان، منير كنعان: المحصول الفكر عند المتنبي ص١٩.

(٦) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص٢١١.

(٧) كافور أبو المسك الأخشيدي، ولد في النوبة، توصل إلىٰ الاستيلاء علىٰ الحكم صمد في وجه الزحف الفاطمي، جمع حوله الأدباء والعلماء والشعراء، توفي سنة ٩٦٨م مدحه المتنبي ثم هجاه، اشتراه محمد بن طغج بثمانية عشر ديناراً، دُعيَ له علىٰ المنابر بالديار المصرية والشامية والحجازية، كان ذكياً جيد السيرة.

المراجع: البداية والنهاية جـ١ ص٢٦٦. المنجد في الأعلام ص٤٢٧.

(٨) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٥١.

وقال من قصيدة يمدح سيف الدولة ويذكر الخيمة التي رمتها الريح:

فمـــا أعتمـــدَ اللهُ تَقْـــويضَهـــا ولكـــنْ أشـــارَ بمـــا تَفْعَـــلُ[1]

وقال من قصيدة يذكر فيها حُمّاه التي كانت تغشاه في مصر:

يُـــذِمُّ لِمُهْجَتـــي رَبِّـــي وسَيفـــي إذا أحتـاجَ الـوحيـدُ إلـىٰ الـذِّمـام[2]

قال في صباه وهو في المكتب:

فثِـبْ واثقـاً بـالله وِثْبَـةَ مـاجـدٍ يرىٰ الموتَ في الهَيْجا جنى النّحْلِ في الفم[3]

وقال في قصيدة يمدح سيف الدولة عند منصرفه من بلد الروم سنة ٣٤٥هـ:

ومُهـذَّب أمَـرَ المنـايـا فيهـمُ فـأطَعْنَـهُ فـي طـاعَـةِ الـرَحمٰـن[4]

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس وجارية:

ولـولا قُـدْرَةُ الخـلاّقِ قُلْنـا أعَمْـداً كـان خلقُـكَ أم وِفـاقـا[5]

قال من قصيدة يصف فرساً تأخر الكلأ عنه بوقوع الثلج:

أي كَبْـتَ كُـلِّ حـاسـدٍ منـافـقٍ أنـت لنـا وَكُلُّنـا للخـالـق[6]

قال من قصيدة يمدح سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ وهي أول ما أنشده:

علـىٰ عـاتِـقِ المُلْـكِ الأغـر نجـادُهُ وفـي يـد جبَّـار السمـوات قـائِمُـه[7]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٦٩.
(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص١٤٤.
(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص٣٤.
(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٣.
(٥) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٠٣.
(٦) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٥٨.
(٧) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٤١.

وقال يرثي والدة سيف الدولة وقد تُوفيت سنة ٣٣٧هـ:

صـــلاةُ اللهِ خـــالِقِنـــا حنـــوطٌ علىٰ الـوَجْـهِ المكَفَّـنِ بـالجمـال[١]

وقال من قصيدة يمدح سيف الدولة وكان قد توقف عن الغزو لمّا سمع بكثرة عدد جيش الروم:

ونُصْفي الذي يُكنىٰ أبا الحسن الهَوىٰ ونُرضي الذي يسمىٰ الإلٰهَ ولا يُكنىٰ[٢]

وقال:

ألا إنمـــا كـــانـــت وفـــاةُ محمـــدٍ دليـلاً علـىٰ أن ليـس لله غـالـبُ[٣]

إنّ الأبيات السابقة تثبت إسلام الشاعر وتوحيده ولكن ليس معنىٰ أنّه مسلمٌ بأنّه إمامُ المسلمين، فهو إنْ لم يكُن أفضل إيماناً من الكثيرين، يكفي أنّه لا يخضع لمخلوق مطلقاً ولا يقبل حكماً إلاّ لله وحده.

٢ ـ الإيمان بالملائكة والشياطين:

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان العقيدة الإسلامية.

أبو الطيب واحد مِنْ جُمهور الأمة الإسلامية التي كرّمها الله بالقرآن الكريم الذي أنزله علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ليكونَ معجزة له ولينقذ به الأمة من الضلال إلىٰ الهداية، ومن الكفر إلىٰ الإيمان، وعلىٰ المسلمين أنْ يُؤمنوا بكل ما جاءَ في القرآن الكريم، فالكفر بآيةٍ منهُ كالكفر بالقرآن كُلّه، وقد جاء في القرآن الكريم ذِكْر الملائكة والشياطين.

---

(١) حنوط: مادة حنط كل طيب يخلط لغسل الميت، القاموس المحيط جـ٣ ص١٢.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٢.

(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٦.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص١٠٩.

والإيمان بالملائكة من أركان الإيمان، ونحن كمسلمين وإن كنا لا نرىٰ الملائكة ولا نسمعهم، فإننا نُؤمن بوجودهم لأنَّ اللهَ قد أخبرنا عنهم وهم من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله، فلا يصحُ إيماننا إلاّ إذا آمنا بوجود الملائكة وهم جُنْدٌ من جنود الله يطيعونه وينفذون أوامره.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وبعض الملائكة حفظة يسجلون أعمال الناس وأقوالهم. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

والمتنبي كما سبق أنْ ذكرنا مِنْ أفراد هذه الأمة الإسلامية. قرأ القرآن وآمن به وحفظ أجزاءً كثيرةً منه، لذلك فإنّ ثقافته إسلامية خالصة، وليس غريباً أن نسمعه يكثر من ذكر الملائكة والشياطين، وقد سمّىٰ لنا هذا الشاعر من بين الملائكة جبريل (عليه السلام) ومنكراً ونكيراً، كما تحدّث عن الملك الحفيظ الكاتب، بالإضافة إلىٰ ذلك تحدّث عن إبليس وخصه بأنه رمز من رموز الشر، وتحدث عن الجن والجنة ونسوق إليك بعض الأبيات التي تثبت صحة معتقده في هذه الموجودات التي ذكرها رب العرش العظيم والتي لو أنكرها يعد خارجاً عن ملة الإسلام.

قال من قصيدة يمدح التنوخيين:

فأعيذُ أختَه بربِّ محمدٍ ... أن يَحْزنوا ومحمدٌ مسرورُ

أوْ يَرغَبُوا بقصورِهم عَنْ حُفرةٍ ... حيّاهُ فيها مُنْكَرٌ ونكيرُ[1]

قال في قصيدة يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

وحفيفُ أجْنِحَةِ الملائِكِ حولَهُ ... وعُيون أهلِ اللاذقيَّةِ صُوْرُ[2]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٣٣.

(٢) حفيف: صوت الأجنحة وحسها.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٣٠.

قال في قصيدة يمدح علي بن منصور الحاجب:

فلقـد دَهِشْـتُ لمـا فَعَلْـتِ ودُونَـهُ ما يُدهِشُ المَلَكَ الحفيظَ الكاتبا[1]

قال من قصيدة يمدح بدر بن عمار[2]:

سَلَكَتْ تمـاثيلَ القبـاب الجـنُّ مِـنْ شَـوْقٍ بهـا فـأَدَرْنَ فيـك الأعْيُنـا[3]

وقال من قصيدة وقد سأله بدر بن عمار الجلوس:

لَعَظُمْـتَ حتّـى لـو تكـونُ أمـانَـةً مـا كـانَ مُـؤْتَمنـاً بهـا جِبْـريـنُ[4]

قال من قصيدة يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران:

حـقُّ الكـواكـبِ أنْ تـزورَكَ مِـنْ عـلٍ وتعـودَكَ الأسـادُ مِـنْ غـابـاتِهـا

والجِنُّ مِنْ سُتراتِها والوَحْشُ من فَلَـواتهـا والطَّيـرُ مِـنْ وُكنـاتِهـا[5]

قال من قصيدة يمدح عضد الدولة[6] وولديه أبا الفوارس وأبا دلف:

مَـلاعِـبُ جِنَّـةٍ لـو سـار فيهـا سليمـانٌ لسـار بِتُـرْجمـانِ[7]

قال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي:

يـا مَـنْ نَلـوذُ مِـنَ الـزّمـانِ بظلِّـهِ حقـاً ونطـرُدُ بـاسمِـهِ ابْليسـا[8]

---

(١) المصدر نفسه جـ١ ص١٣٣.

(٢) بدر بن عمار: هو الحسن بن عمار بن إسماعيل الأسدي، ولي طبرية من أبي بكر محمد بن رائق ليتولىٰ قيادة جيشها سنة ٣٢٨هـ كان عربياً يبغض الأعاجم فأحبه المتنبي.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٠٨.

(٥) المصدر نفسه جـ١ ص٢٣٤.

(٦) عضد الدولة: هو أبو شجاع فنّاخُسرو بن ركن الدولة أبي علي، الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي من أعقاب سابور ذي الأكتاف وهو أول من تملك من ال بويه وكان ملكاً لشيراز قدم عليه المتنبي سنة ٣٥٤هـ، «البداية والنهاية جـ١ ص٢٩٩».

(٧) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢٥٢.

(٨) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٠٠.

٣ ـ الإيمان بالأنبياء والكتب السماوية:

يعترف أبو الطيب بالأنبياء وبالكتب السماوية المنزلة عليهم وبمعجزاتهم ومن أركان الإيمان بالإسلام، الإيمان بالأنبياء وبالكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ بعض رسله بطريق الوحي، لهداية الناس وإرشادهم إلىٰ طريق الحق والخير، قال تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالإيمان بالرسل والكتب المنزلة عليهم واجب علىٰ كل مسلم، ولا تصحّ عقيدة المسلم إلاّ إذا آمن بذلك.

وأبو الطيّب واحد من أفراد الأمة الإسلامية، لم نسمع عنه أنّه جحد شيئاً من ذلك، بل ورد ذكر الأنبياء والكتب المنزلة عليهم في شعره.

إنَّ المتنبي شعر بغربة أثناء وجوده في دار (نخلة)[١]، فيشبه تلك الغربة التي أحسَّ بها بالغربة التي أحسّ بها عيسىٰ عليه السلام أثناء وجوده عند اليهود.

وقال من قصيدة في صباه:

ما مُقامي بأرضِ نَخْلَةَ إلاّ كَمُقامِ المسيحِ بَينَ اليهود[٢]

وها هو يذكر النبي داود عليه السلام فيقول:

لأمةٌ فاضَةٌ أضاةٌ دِلاصٌ أحكمتْ نَسْجَها يدا داود[٣]

---

(١) نخلة: هي قرية لبني كلب علىٰ بعد ثلاثة أميال من بعلبك.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣١٩.

(٣) لأمة: درع ملتئمة الصنعة.
القاضة: السابغة.
اضاة: صافية.
دلاص: البراق.
العكبري: جـ١ ص٣٢٠.

إنّ المتنبي شعر بأنّ الناس الذين يقيم بينهم لا يعرفون قدره كما لم تعرف ثمود قدر صالح:

أنـا فـي أمّـةٍ تـدارَكهـا اللهُ غـريـبٍ كصـالـحٍ فـي ثمـودِ[1]

كذلك يذكر ذا القرنين، وعازر، وعيسىٰ، وموسىٰ، وسليمان:

قال من قصيدة يمدح محمد بن زريق الطرسوسي:

لـو كـان ذو القـرنيْـنِ أعمـلَ رأيـه لَمّا أتىٰ الظُّلماتِ صِرْنَ شُموسا[2]
أو كان صادفَ رأْسَ عازَرَ[3] سَيْفُهُ فـي يـوْمِ معـركـةٍ لأعيـا عيسـى
أو كـان لُـجَّ البحـر مِثْـلَ يَمينِـهِ مـا انشـقّ حتىٰ جاز فيه موسىٰ[4]

وقال يذكر سليمان:

مـلاعِـبُ جِنّـةٍ لـو سـار فيهـا سُليمـانٌ لسـار بتُـرْجمـانِ[5]

واسمعه يذكر الحواريين[6] من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة سنة ٣٣٩هـ:

ولـو رآه حـواريّـوهُـمُ لَبَنَـوْا على محبّتِهِ الشَّرْعَ الذي شرعُوا[7]

وقال يذكر المسيح عليه السلام في قصيدة قالها يمدح علي بن مكرم:

فـآجَـرَكَ الإلٰـهُ علـىٰ عليـلٍ بَعَثْـتَ إلـىٰ المسِيحِ بِـهِ طَبيبـا[8]

---

(١) العكبري: جـ١ ص٣٢٤.

(٢) ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك البلاد ودخل الظلمات: وهي بحار.
أعمل: استعمل.

(٣) عازر: رجل من بني إسرائيل هو الذي أحياه الله لعيسىٰ بن مريم.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٩٨-١٩٩.

(٥) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٥٢.

(٦) الحواريون: هم أصحاب عيسىٰ عليه السلام وفي تسميتهم بهذا الاسم أقوال أحدها أنهم كانوا قصّارين يبيضون الثياب، ومنه الحور البياض في عيونهم، وقيل الحواري هو الناصر وكانوا أنصار عيسىٰ بن مريم عليهما السلام، ومنه قوله ﷺ: «الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي»، وقيل هم أصفياء الأنبياء وخاصتهم.

(٧) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢٥.

(٨) المصدر نفسه جـ١ ص١٤٥.

قال يذكر الخضر:

إذا مـا ذَكَـرْنـا جُـودَهُ كـان حـاضِـراً نَأىٰ أوْ دَنا يَسْعىٰ علىٰ قَدَمِ الخِضْرِ[1]

٤ ـ الإيمان باليوم الآخر:

أبو الطيب يؤمن بالموت وأنَّ مصير الإنسان إلىٰ زوال فالحياة الدنيا دار زوال والحياة الآخرة دار قرار.

وللشاعر تأملات متنوعة حول الميت، فهو يعترف كما يعترف الجميع من قبله ومن بعده بأن الموت نهاية كل حي وكل أثر يخلفه الأحياء ولو بقي الأثر مدة بعد صاحبه.

بالموت يتميز الرجال ويعرف الشّجاع القادر علىٰ بذل حياته الغالية من الجبان الحريص علىٰ أنانيته الخاصة.

بالموت نختبر تمسّك الإنسان بمعتقداته ومحافظته علىٰ القيم التي يدعي الإيمان بها فأمام الموت يذوب التبجح.

والمتنبي يرىٰ أنّه ما دام الموت محيقاً بنا من كل جانب ظافراً بأرواحنا آخر الأمر، فما هو الموقف الذي توحيه علينا إنسانيتنا منه؟ هل هو السعي إلىٰ تجنبه، أو الهرب منه بكل وسيلة علت أو سفلت؟ هل هو الحرص علىٰ أيام وساعات قليلة نعيشها بمنجاة منه؟ لا إن منطق أبي الطيب هذا ضد منطق الضعفاء الجبناء المتخاذلين، إنه موقف الشجاعة.

وما دامت الحياة قصيرة فلن تستقر أو يهنأ بها صاحبها إذا زادت بعض الهنيهات، فما علىٰ الشخص إلا أن يلغي من قائمة أهدافه مطلب البقاء الذي لن يحصل عليه أبداً، وعليه أن ينشغل بالأهداف الأخرىٰ.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح التبيان جـ٢ ص١٣٧.

إن أبا الطيب يطلب من الإنسان أن لا يجزع من الموت لأنه أمر طبيعي، قال من قصيدة يعزىٰ أبا شجاع عضد الدولة (وقد ماتت عمته):

نَحْنُ بنو المَوْتىٰ فما بالُنا ... تعافُ ما لا بُدَّ من شُربِهِ
تَبْخَلُ أيدينا بأرْواحِنا ... علىٰ زَمانٍ هي مِنْ كَسْبِهِ
فهذه الأرْواحُ من جَوِّهِ ... وهذه الأجسامُ من تُرْبِهِ
يموتُ راعي الضأنِ في جَهْلِهِ ... مَوْتَةَ جالينُوسَ في طِبِّهِ[1]

والموت مصير كل حي فما من أحد مخلد في هذه الحياة الدنيا والناس يسيرون في الحياة أفواجاً إثر أفواج بين الميلاد والموت.

قال من قصيدة يعزي سيف الدولة بمناسبة وفاة عبده يماك التركي:

سُبِقْنا إلىٰ الدّنيا فلو عاشَ أهْلُها ... مُنِعْنا بها مِنْ جيئَةٍ وذُهوبِ
تَمَلَّكَها الآتي تَمَلُّكَ سالبٍ ... وفارقَها الماضي فِراقَ سليبِ[2]

وقال من قصيدة يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي:

علىٰ ذا مضىٰ الناس: اجتماعٌ وفرقةٌ ... ومَيْتٌ ومولودٌ وقالٍ ووامِقُ[3]

وقال يمدح أبا المنتصر: شجاع محمد بن أوس بن الرضا الأزدي:

أبني أبينا نحنُ أهلُ منازلٍ ... أبداً غُرابُ البَيْنِ فيها يَنْعِقُ
نبكي علىٰ الدُّنيا وما مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنيا فلمْ يتفرقوا
أيْنَ الأكاسِرَةُ الجبابرة الأُلىٰ ... كَنَزوا الكُنوزَ فما بقينَ ولا بَقُوا
والموتُ آتٍ والنّفوسُ نفائِسٌ ... والمُسْتَغِرُّ بما لَدَيْهِ الأحْمَقُ[4]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢١١-٢١٣.
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٥٠.
(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٤٢.
(٤) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٣٤-٣٣٥.

وقال من قصيدة يَرْثي والدة سيف الدولة وقد توفيت سنة ٣٣٧هـ:

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والعَوالي ... وتقتُلُنا المَنُونُ بلا قِتالِ
ونَرْتَبِطُ السوابقَ مُقْرباتٍ ... وما يُنْجينَ من خبَبِ اللّيالي
بدارٍ كُلُّ ساكِنِها غريبٌ ... طويلُ الهَجْرِ مُنْبَتُّ الحبالِ
يُدَفِّنُ بَعْضُنا بَعْضاً وتَمْشي ... أواخِرُنا علىٰ هامِ الأوالي[1]

وقال من قصيدة يرثي أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة:

تخونُ المنايا عَهْدَهُ في سليلِهِ ... وتَنْصُرُهُ بَيْنَ الفَوارسِ والرَّجْلِ
وما المَوْتُ إلاّ سارقٌ دَقَّ شَخْصُهُ ... يصولُ بلا كَفٍّ ويسعىٰ بلا رِجْلِ
إذا ما تَأَمَّلْتَ الزَّمانَ وصرْفَهُ ... تَيَقَّنْتَ أنَّ الموتَ ضرْبٌ مِنَ القَتْلِ[2]

وقال من قصيدة نظمها ليرثي بها أبا شجاع:

أيْنَ الذي الهَرْمان من بُنْيانِهِ ... ما قومُهُ ما يوْمُهُ ما المصرَعُ
تَتَخلَّفُ الآثارُ عَنْ أصحابها ... حيناً ويدْرِكُها الفناءُ فتتبعُ
لم يُرْضِ قَلْبَ أبي شُجاعٍ مَبْلَغٌ ... قَبْلَ المماتِ ولَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
وصلَتْ إليك يدٌ سواءٌ عندَها ... ألبازُ الأشهبُ والغُرابُ الأبقعُ[3]

وقال من قصيدة بمصر لم ينشدها كافوراً[4]:

غير أنَّ الفَتىٰ يُلاقي المنايا ... كالحاتٍ ولا يُلاقي الهوانا
ولو أنَّ الحياةَ تَبقىٰ لحيٍّ ... لعدَدْنا أضلَّنا الشُجْعانا
وإذا لم يكُنْ من الموتِ بدٌّ ... فمن العَجْزِ أنْ تكونَ جبانا

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٨، ١٥، ١٨.
(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٤٧، ٤٨، ٥١.
(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٧٠، ٢٧٤.
(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٤١.

الرابطة الدينية عند المتنبي

الرابطة الدينية في الإسلام هي الرابطة التي تربط المسلم مع أخيه المسلم في أي مكان، والمتنبي يعتز بالإسلام، فقد عاش شاعرنا في أسرة مسلمة علوية أو هاشمية، وهذه الأسرة وجهته توجيهاً دينياً حين ألحقته في كتّاب أشراف العلويين فحذق اللغة العربية شعراً ونثراً، وحفظ أجزاء كثيرة من كتاب الله القرآن الكريم، وتثقف بالثقافة الإسلامية التي كانت تسود في عصره.

وشاعرنا لم يُتهم بإلحاد أو زندقة، وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متورعاً موحداً.

إننا نلمس من دراسة ديوان الشاعر أنه يحمل عاطفة دينية قوية، ونزعة إسلامية ولا سيما عندما كان عند الأمير المجاهد سيف الدولة الحمداني، حيث اشترك في الجهاد ضد الروم، وحث المجاهدين على القتال في سبيل الله لكي تُرفع راية الإسلام وتذل راية الشرك، فانتصار المسلمين، انتصار لعقيدة التوحيد على عقيدة التثليث (الأب ـ الابن ـ الروح القدس).

إن أبا الطيب يفخر بأن أميره المجاهد هو الذي يُؤمن طرق الحجيج للمسلمين فلا يعترضها قاطع طريق أو عدو لئيم، كما أنه يحمي المنابر ويقيم الجُمع.

قال من قصيدة يمدح سيف الدولة:

لهـذا اليـومِ بَعْـدَ غَـدٍ أريـجُ ... ونـارٌ فـي العـدوِّ لهـا أجيـجُ

تَبيـتُ بهـا الحـواضِـنُ آمنـاتٍ ... وتسلـمُ فـي مسـالِكها الحجيـجُ[1]

وقال أيضاً:

مُخْلىً له المَرْجُ، مَنْصوباً بِصارِخَةٍ ... لَهُ المنابِرُ، مَشهوداً بها الجُمَعُ[2]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٢٥.

والشاعر يمقت الخمرة ويتجنبها ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا:

فُـــؤادٌ مـــا تُسَلّيـــه المـــدامُ وعُمْـــرٌ مِثْـــلُ مـــا تَهِـــبُ اللِّئـــامُ[1]

وقال عندما سأله أبو خميس الشرب:

أَلَـــذُّ مِـــنَ المُـــدَامِ الخَنْـــدريـــسِ وأَحْلـــىٰ مِـــنْ مُعـــاطـــاةِ الكُـــؤوسِ
معـــاطـــاةُ الصَّفـــائـــحِ والعَـــوالـــي وإقحـــامـــي خُمِيســـاً فـــي خميـــسِ[2]

وأبو الطيب صارم في تفضيله الإسلام علىٰ باقي الديانات السماوية، فهو عنده دين التوحيد، والباقون مشركون، فهو يعتبر الديانة النصرانية ديانة غير موحدة نتيجة إيمان النصارىٰ بعقيدة التثليث.

وأبو الطيب عدو لدود لليهود فإذا أراد أن يشوّه سمعة فعل أو شخص أو يحط من قيمته نَسَبَهُ إلىٰ اليهود، يقول شوقي ضيف: «إن الذي بلّغ نبأ عزمه علىٰ الثورة إلىٰ لؤلؤ وإلىٰ حمص، يهودي سماه المتنبي في بعض شعره ابن كروس الأعور»[3].

وإثارة الفتنة بين التنوخيين سببها يهودي، وقد نشب خلاف بين أبي الطيب وبين عامل كافور علىٰ دمشق وهو يهودي ويعرف بابن ملك[4] وذلك لأن الشاعر أنِفَ من مدحه فحاول إفساد كافور عليه.

فاليهود عند أبي الطيب كانوا وما زالوا حتىٰ يومنا هذا ممثّلي الشر في العالم، فهم أهل كذب ودس واعتداء حتىٰ علىٰ رسل الله فهم لا يرعون عهداً ولا ميثاقاً، وهم أعداء لكل فضيلة وهم سبب نشر كل رذيلة في العالم.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٦٩

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص١٩١.

(٣) ابن كروس الأعور: يهودي شرير كان يمشي بين العرب بالعداوة والبغضاء. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده ص٨٤. أما محمود شاكر فيقول عنه: كان ابن كروس الأعور من صنائع العلويين أو الفاطميين حاول أن يفسد بين المتنبي وبدر بن عمار.

(٤) ابن ملك: يهودي كان يعيش بدمشق هو من أهل تدمر طلب من المتنبي أن يمدحه فرفض. يوسف البديعي: ص١١٠.

اسمعه يقول من قصيدة يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

أليسَ عَجيباً أنْ بَيْنَ بني أبٍ ... لُنَجْلِ يهوديّ تَدِبُّ العقارِبُ[1]

وقال من قصيدة وهو في السجن:

فلا تَسْمَعَنَّ من الكاشحينَ ... ولا تَعْبأَنَّ بِمَحْكِ اليَهودِ[2]

وفي تفضيل الإسلام علىٰ سائر الأديان قال من قصيدة يمدح سيف الدولة عند منصرفه من بلد الروم سنة ٣٤٥هـ.

خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ المناصِلُ عنوة ... وأذلَّ دينُكَ سائِرَ الأدْيانِ[3]

ومهذب أمَرَ المَنايا فيهمُ ... فأَطَعْنَهُ في طاعَةِ الرحمٰنِ

إن هزيمة المسلمين للروم تعني هزيمة التوحيد للشرك، قال من قصيدة يمدح سيف الدولة في معركة الحدث سنة ٣٤٢هـ:

ولَسْتَ مَليكاً هازِماً لِنظيرِهِ ... ولكنَّكَ التوحيدُ للشِرْكِ هازِمُ[4]

المسلمون هم الموحدون وسيف الدولة يقاتل من أجل إعلاء كلمة الله لذلك يأمر المسلمين بالجهاد، فالمسلمون موحدون، أما النصارىٰ فيؤمنون بعقيدة فاسدة باطلة زائفة هي عقيدة التثليث، وقد نطق بهذا القرآن الكريم ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال من قصيدة بعث بها إلىٰ سيف الدولة بعد فراقه:

ويَسْتَنصِرَانِ الذي يَعْبُدانِ ... وَعِنْدَهُما أنَّه قد صُلِبْ

أرىٰ المسلمينَ مع المشركيـ ... ـنَ إمّا لِعَجْزٍ وإما رَهَبْ

وأنْتَ معَ الله في جانِبٍ ... قليلُ الرّقاد كثيرُ التَّعَبْ

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٧.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠-١٨٣.

(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩١.

كـــأنَّـــكَ وَحْـــدَكَ وَحّـــدْتَـــهُ ودانَ البـــريّـــةُ بـــابـــنٍ وأَبْ[1]

إن مدح المتنبي لابن حمدان بأنه سيف الدولة العباسية، وتكرار هذا وتسمية الدولة العباسية بالدولة الهاشمية أو دولة الخلافة وأنها خيرة الدول وتسمية الخلفاء العباسيين أئمة قريش، كل هذا دليل علىٰ تدينه وبرهان علىٰ أنه ما كان ينتحل إلاّ نِحْلة جمهور المسلمين في عصره.

اسمعه يقول في مدح بدر بن عمار:

حُســـامٌ لابـــنِ رائِـــقِ المُـــرجَّـــى حُســـامِ المتَّقـــي أيّـــامَ صـــالا[2]

وقال من قصيدة نظمها في مدح سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ:

لقد سلَّ سيفَ الدَّولة المجدُ معلِّما فلا المجدُ مُخْفِيَهُ ولا الضَّرْبُ ثالِمُهْ

علـىٰ عـاتِـقِ المُلْـكِ الأغَـرِّ نِجـادُهُ وفـي يَـدِ جبَّـارِ السَّمـواتِ قـائِمُـه[3]

وقال من قصيدة نظمها في مدح سيف الدولة:

وشَـرِكْـتُ دولـةَ هـاشِـمٍ فـي سيْفِهـا وشققْـتُ خِيـسَ المُلْـكِ عـن ريبـالـه[4]

وقال من قصيدة نظمها في سيف الدولة عندما سار لنصرة أخيه:

لقـد رأت كُـلُّ عيْـنٍ منـكَ مـالِئَهـا وجرَّبتْ خيْرَ سيفٍ خيرَةُ الدُّولِ[5]

وقال يمدح سيف الدولة:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص١٠٣-١٠٤.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٢٢٦.

(٣) الأغر: الأبيض.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٤١.

(٤) خيس: أجمة الأسد.

الريبال: الأسد.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٥٩.

(٥) المصدر نفسه جـ٣ ص٤٠.

إنّ الخليفـةَ لـم يسمّـكَ سيْفَهـا حتىٰ أبتلاكَ فكنتُ عَيْنَ الصَّارمِ[1]

وقال من قصيدة نظمها يمدح سيف الدولة ويعتبره إمام الخلفاء العباسيين عند الجهاد:

إمـامٌ لـلأئمَـةِ مـن قُـريْـشٍ إلـىٰ مَـنْ يتّقـون لـه شِقـاقـا[2]

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر الخيمة التي رمتها الريح:

لقـد رفـعَ اللهُ مِـنْ دولـةٍ لهـا منْـكَ يـا سيفَهـا مُنْصُـلُ[3]

وقال من قصيدة نظمها بمناسبة بناء سيف الدولة لمرعش:

هنيئـاً لأهْـلِ الثَّغْـرِ رأيُـكَ فيهـمُ وإنّكَ حـزبَ اللهِ صِـرْتَ لهـم حِـزْبـا
لأمْـرٍ أعـدّتْـهُ الخِـلافـةُ للعـدىٰ وَسَمَّتْه دونَ العالمِ الصارمَ العَضْبا[4]
فمن كان يُرضي اللؤمَ والكفرَ مُلكُه فهذا الذي يُرضي المكارِمَ والرَّبَّا

فأبو الطيب لم يمدح غير المسلمين، ومدح غير العرب بصفتهم مسلمين لذلك يخطىء من اعتبر المحور الأساسي للتجمع السياسي في نظرةِ القومية، لذلك لم يكن المتنبي شاعراً قومياً كما يقول مارون عبود[5] حيث لم تعرف القومية في زمانه ولم تعرف القوميات إلا في العصر الحديث.

إن المتنبي لم يقصد بالعروبة الانفصال عن جسم الدولة الإسلامية كما يقول حنا الفاخوري[6]: «فالعروبة عنده دائرة فرعية ضمن الدائرة الإسلامية الكبرىٰ»[7].

---

(١) الابتلاء: الاختبار والتجربة.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٤٩.
(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٩٨.
(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص٧١.
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٦٢، ٦٨، ٦٩.
(٥) مارون عبود: الرؤوس ص٢٣١-٢٤٤.
(٦) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي ص٦٣٧-٦٤٠.
(٧) سهيل عثمان ومنير كنعان: المحصول الفكر عند المتنبي ص٢٢٨.

إن سبب ضعف المسلمين في زمن المتنبي وفي زماننا هذا هو فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية، ولن تعود لنا كرامتنا ومجدنا وعزتنا إلا إذا عدنا إلىٰ الإسلام ومزجنا الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية لتعود الدولة الإسلامية التي توحد المسلمين علىٰ المبدأ والعقيدة.

إن المتنبي يحاول في مدحه للأمراء والملوك أن يضفي علىٰ حكمهم هالة دينية ويجعلهم مكلفين بمهام إلٰهية أبرزها نصرة الدين الإسلامي.

والإسلام الذي يلحّ عليه أثناء حديثه هو الدين الإسلامي بشكل عام من غير تفضيل لمذهب علىٰ آخر، أو تدخل في شؤون الخلافات المذهبية وقصائده في الحمدانيين أكبر دليل علىٰ ذلك.

فهو يؤكّد أن السيف سيف الله المجاهد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وعقيدتهم وعباداتهم وخلافتهم، ويستنهض المسلمين عموماً متجاهلاً خلافاتهم المذهبية، بل لا يستطيع المرء أن يعرف من قصائده مذهبه ولا مذهب ممدوحه.

فبالرغم من كون المتنبي من أسرة علوية أو هاشمية إلاّ أنه لا يركز علىٰ أحقية أهل البيت بالحكم، وأغلب الذين مدحهم لم يكونوا طالبيين، كما أنه لم يرد علىٰ لسانه ذم الصحابة ولا الانتقاص من أبي بكر أو عمر أو عثمان وإليك بعض الأبيات التي تثبت أنه يضفي علىٰ ممدوحيه هالة دينية ويجعلهم مكلفين بمهام إلٰهية.

ها هو أحد ممدوحيه ينتصب ممثلاً للحق ومنصوراً بالعناية الإلٰهية:

وقَدْ تيقَّنَ أنَّ الحقَّ في يده ... وقد وَثِقَنَ بأنَّ اللهَ ناصرُه[1]

إن أميره الحمداني سيف دولة الخلافة الذي يجب أن يقدره المسلمون. قال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل بن داود من الأسر، فالأمير الحمداني سيف دولة الخلافة الذي يجب أن يقدره المسلمون ويساعدوه:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٢٠.

أمـــا للخـــلافـــةِ مِـــنْ مُشْفِـــقٍ علـىٰ سَيـفِ دَوْلتِهـا الفـاصِـلِ[1]

وسيف الدولة سياج أمير المؤمنين:

صـانَ الخليفـةُ بـالأبطـالِ مُهجَتَـهُ صيـانـةَ الـذَّكَـرِ الهنـديّ بـالخِلَـلِ[2]

والدولة دولة هاشم العباسية وأميره سيفها:

وَشَـرِكْـتُ دولـةَ هـاشـمٍ فـي سَيْفِهـا وشقَقْتُ خيسَ المُلكِ عن ريباله[3]

ويظل سيف الدولة ضمن دائرة الخلافة الإسلامية وعاملاً تحت لوائها:

إنَّ الخليفـةَ لـم يُسَمِّـكَ سيفَهـا حتـىٰ ٱبتـلاكَ فكنْـتَ عيْـنَ الصَّـارم

وإذا تتـوَّجَ كنْـتَ دُرَّةَ تـاجِـهِ وإذا تختـمَ كُنْـتَ فـصَّ الخـاتـم

وإذا ٱنْتَضاكَ علىٰ العدىٰ في مَعْرِكٍ هلَكُـوا وضـاقَـت كفُّـهُ بـالقـائـم[4]

إن سيف الدولة تهتم به العناية الإلٰهية لأنه مجاهد في سبيل الله، قال من قصيدة في مدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح:

فمـــا ٱعْتَمَـــدَ اللهُ تقـــويضَهـــا ولكـــنْ أشـــار بمـــا تفعَـــلُ[5]

وعَـــرَّفَ أنـــكَ مِـــن هَمِّـــهِ وأنَّـــكَ فـــي نَصْـــرِهِ تَـــرْفُـــلُ[6]

إن سيف الدولة سيف الخليفة الذي يعتبر رمز الدولة الإسلامية، قال من قصيدة نظمها في مدحه يوم عيد الأضحىٰ:

فيـا عَجَبـاً مـن دائـلٍ أنْـتَ سَيْفُـهُ أمـا يتـوقـىٰ شفـرتـي مـا تَقَلَّـدا

وها هو يؤكد علىٰ القيمة الدينية لسيف الدولة:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣١.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٦.

(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص٥٩.

(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٤٩.

(٥) المصدر نفسه جـ٣ ص٦٩.

(٦) المصدر نفسه جـ٣ ص٧٥.

فـأنْـتَ حُسـامُ المُلْـكِ والله ضـارِبٌ وأنـت لـواءُ الـدّيـنِ واللهُ عـاقِـدُ[1]

وسيف الدولة من حزب الله.

هنيئـاً لأهْـلِ الثَّغْـرِ رأْيُـكَ فيهـمُ وأنّكَ حزْبَ الله صِرتَ لهُمْ حِزبا[2]

وقال في قصيدة نظمها بمناسبة معركة الحدث:

ولسـتَ مليكـاً هـازِمـاً لنظيـرِه ولكنّـك التـوحيـدُ للشِـرْكِ هـازِمُ[3]

هنيئاً لضَـرْبِ الهـامِ والمَجْـدِ والعُـلا وراجيـكَ والإسـلامِ أنّـك سـالِـمُ

وقال من قصيدة نظمها في مدح دُلَّيْربن لشكروز سنة ٣٥٣هـ:

فتَمليـكُ دُلّيْـرٍ وتعظيـمُ قـدْره شهيـدٌ بـوحـدانيّـةِ الله والعـدل[4]

إن الله سبحانه وتعالىٰ يحقق النصر لدينه ويمهد النصر للمجاهدين في سبيله من أجل إعلاء كلمته:

وأخْلَـصَ اللهُ لـلإسـلام نُصْـرتَـهُ وإنْ تغلَّـبَ فـي آلائِـهِ الأُمَـمُ[5]

وقد سمّىٰ سيف الدولة سيف دولة هاشم، لأنه سيف للدولة العباسية وبها يصول علىٰ الأعادي:

يـا سيفَ دَوْلـةِ هـاشـمٍ مَـنْ رامَ أنْ يَلْقـىٰ مَنـالَـكَ رامَ غَيْـرَ مَـرامِ[6]

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٦٢.

(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩١.

(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص٢٩٨.

(٥) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٧٦.

(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٣.

اقتباس المتنبي من القرآن الكريم وتأثره به

إن نشأة الشاعر الدينية بالكوفة هيأت له علاقة مبكرة بكتاب الله، وقد كان اهتمام الشاعر بالنحو واللغة العربية دافعاً لحفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم، كان الشاعر يستند إليها في المناقشات التي دارت بينه وبين من أملىٰ عليهم ديوانه، وبين من ناظروه في كثير من مسائل النحو واللغة، لذلك نرىٰ الشاعر يستشهد بالقرآن الكريم في شرحه لبعض المفردات التي أوردها في شعره ويحتج ببعض الآيات في ملاحظاته النقدية التي وجهها لشعر غيره مثل قوله عن بيت الأعشىٰ:

وهل تنكر الشمس شمس النهار ... والقمر الواضح الأبرص

عاب المتنبي علىٰ الأعشىٰ بسبب استعماله لفظ (الأبرص) قائلاً: لو كانت لفظة الأبرص في كتاب الله لكدرت شرب بلاغته ولما أراده الله تعالىٰ، كنّىٰ عنه بقوله: ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢].

كذلك دللت بعض الملاحظات التي صدرت عنه علىٰ درايته باختلاف القراءات، وقد كان من الطبيعي ممن حفظ القرآن الكريم، أو حَفِظَ أجزاء منه، واطّلع علىٰ بعض المذاهب الدينية، أن تتسلل إلىٰ شعره بعض آثار هذا الاطلاع ممثلة في استلهام بعض القصص الديني، واستمداد بعض الصور القرآنية، والاستفادة من بعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم والاستعانة بمعاني بعض الآيات.

لقد استوحىٰ المتنبي قصة نوح عليه السلام والطوفان في تصوير كرم ممدوحه مساور بن محمد الرومي قائلاً:

لو كُنْتَ بحراً لم يَكُنْ لَكَ ساحِلٌ ... أو كُنت غَيثاً ضاقَ عَنْكَ اللُّوحُ[1]

وخَشيتُ منْكَ علىٰ البلاد وأهْلها ... ما كانَ أنذَرَ قومَ نوحٍ نوحُ[2]

---

(١) اللوح: الهواء ما بين السماء والأرض.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٥٤.

شبه الشاعر ممدوحه في البيت الأول بالغيث والبحر وجعل المشبه يفوق المشبه به في العطاء، إذ لا ساحل قد ضاق عنه الفضاء، فكان خوف المتنبي علىٰ البلاد من الطوفان، وقد كان إنذار نوح لقومه هنا وليد السياق، إذ كنىٰ به الشاعر عن الطوفان الذي ورد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، فنقل الصورة من العذاب إلىٰ الكرم، ولولا ما سبق من تشبيه الممدوح بالغيث والبحر لكانت صورة نوح ضرباً من الإيحاء ساقته إليه القافية.

كما ذكر المتنبي ثموداً في قوله:

وفي جودِ كَفَّيْكَ ما جُدْتَ لي ... بِنَفْسي ولو كُنتُ أَشقىٰ ثَمودِ[1]

أراد (قدارا) عاقر الناقة.

وقد عرض في مدحه كافور الأخشيدي لقصة قميص يوسف قائلاً:

كأنَّ كُلَّ سُؤالٍ في مسامِعِهِ ... قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبِ
إذا غَزَتْهُ أعادِيهِ بمسألةٍ ... فقد غَزَتْهُ بِجيْشٍ غَيْرِ مغلوبِ[2]

لقد استوحىٰ المتنبي قصة يعقوب عليه السلام وقميص يوسف لكي يعطي صورة لكرم كافور الذي لا يرد سائلاً يقصده بل إنَّ سؤال طالبي رفده يجلب السعادة الغامرة إلىٰ قلبه، كفرحة وسعادة يعقوب بقميص يوسف.

أما النبي موسىٰ فقد ذكره الشاعر في عدة مواضع، ذكر انهيار الجبل أمام ناظريه، وانشقاق البحر، ولعنته للسامري.

قال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

ما كُنتُ آملُ قَبْلَ نَعْشِكَ أنْ أرىٰ ... رَضْوى علىٰ أيدي الرجالِ تسيرُ
خرجُوا به ولكُلِّ باكٍ خَلْفَهُ ... صَعَقاتُ موسىٰ يَوْمَ دُكَّ الطورُ[3]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص١٧٢.

(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص١٢٩.

لقد صور الشاعر مكانة من يرثيه عند قومه، فوصف النعش وقد حُمِل علىٰ أيدي الرجال كجبل شامخ «رضوىٰ» لفرط مهابته، ثم نقل الشاعر مشاعر مودعيه خلف النعش إلىٰ مثواه الأخير، وقد ملك الحزن قلوبهم فخرجوا باكين يصعقون كصعقات موسىٰ يوم الطور (الطور جبل كلم الله موسىٰ عليه) أي أن الباكين خلف نعشه كثير ولهم غشيان وصعقات وقال: (خلفه) لأن المشي عندنا خلف الجنازة أفضل.

واستمع إليه وقد استمد من قصة السامري في قصيدة مدح بها المغيث بن علي فقال:

لِمَنْ مالٌ تُمَزّقُهُ العطايا ... ويَشْرَكُ في رغائِبِهِ الأنامُ
ولا تَدْعوكَ صاحِبَهُ فَتَرْضىٰ ... لأنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذّمامُ[1]
تُحَابِدُهُ كأنّكَ سامريّ ... تُصافِحُهُ يد فيها جُذامُ[2]

استمد المتنبي من قصة السامري للتمثيل عن قلة اكتراث ممدوحه لكرم صاحبه لارتباط السامري بالقرآن بإيحاء تنفر منه النفوس كلعنة موسىٰ ووحشته ونفور الناس منه، ثم خوفه من أن يمسه أحد. بمعنىٰ آخر: أنت تجانب هذا المال وتنفر عنه كما ينفر السامريّ من مصافحة رجلٍ في يده جذام.

أما انشقاق البحر لموسىٰ (عليه السلام) فقد ذكره في قصيدة مدح بها محمد ابن زريق الطرسوسي.

أو كانَ لُجّ البَحْرِ مِثْلَ يَمينِهِ ... ما انشقَّ حتّىٰ جازَ فيه موسىٰ[3]

فقد استمد الشاعر التصوير القرآني لانشقاق البحر لموسىٰ ليثبت صفة الجود لممدوحه، لو كان معظم البحر مثل كفه، يعني في الجود والعطاء والقوة لما انشقّ لموسىٰ.

---

(١) الذمام: العهد وقيل جمع ذمة وهو الأمان ومنه قول النبي ﷺ: ويسعىٰ بذمتهم أدناهم.
(٢) الجذام: برص ليس له دواء. العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٧٩.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٩٩.

ومن القصص التي ذكرها قصة ذي القرنين الذي يمثل شخصية حظيت بإرادة حديدية إلىٰ جانب ما زودت به من عطاء إلٰهي، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، واستطاع بذلك أن يطوي الأرض حتىٰ بلغ أرض الظلمات، وأن يبني سداً منيعاً، وقد استمد صورة السد من قصة القرنين في قوله:

كأني دَحوتُ الأرضَ مِنْ خِبرتي بها كأني بَنى الإسكندرُ السَّدَّ مِن عزْمي[1]

وقد أشار في المصراع الأول إلىٰ كثرة تنقلاته وأسفاره التي أكسبته خبرة واسعة بالأرض ومجاهلها، وأنه قد خبر الأرض وعرفها مثل ذي القرنين، وقد أعانه علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

واستمع إلىٰ قوله في موضع آخر:

لـو كـانَ ذو القـرنيْـن أعمـلَ رأيَـهُ لمَّا أَتىٰ الظُّلماتِ صِرْنَ شُموسا[2]

أي له رأي سديد لو استعمله لأضاءت له الظلمات.

وأشار الشاعر إلىٰ صنعة الدروع التي عملها الله لداود عليه السلام.

قَـواضٍ مـواضٍ نَسْـجُ داودَ عنـدهـا إذا وقعَـتْ فيـه كنَسْـجِ الخَـدرْنَـقِ[3]

يقول هذه الرماح قاضية علىٰ من يقصده ماضية علىٰ من يعتمده، كنسيج العنكبوت في سرعة خرقها له ونفاذها فيه قال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقال:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٥٢.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص١٩٨.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٠٩.

والخدرنق: العنكبوت والجمع خدارق.

مَفْـرَشـي صَهْـوَةُ الحصـان ولكـ ـنَّ قميصي مسرودَةٌ مِنْ حَديدِ[1]
لأمَـةٌ فـاضَـةٌ أضـاةٌ دِلاصٌ أحْكَمَـتْ نَسْجَهـا يَـدا داودِ[2]

إن المتأمل لمفردات هذين البيتين يَلْمَحُ إلحاح الشاعر علىٰ لفظ نسج حيث أوردَهُ في تركيبين إضافيين في البيت الأول نسج داود، الخدرنق وأورده في البيت الثاني إلىٰ جانب مرادفه مسرودة مما ينم عن استيحاء الشاعر لحديث القرآن عن النبي داود عليه السلام وصنعة الدروع. وذلك لأن داود أول من عمل الدروع. قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠-١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقد أشار الشاعر إلىٰ اتساع ملك سليمان عليه السلام بقوله:

مَـنْ يـزرْهُ سليمـانَ فـي المُلـ ـكِ جَلالاً ويوسُفاً في الجَمالِ[3]

أي أنه هذا الممدوح إذا زرته فكأنما زرت سليمان في ملكه ويوسف في جماله وبهائه فاستعار لممدوحه هذه الصورة.

كما أنه ذكر المسيح وصالحاً عليهما السلام فقال:

مـا مُقـامـي بـأرضِ نَخْلَـةَ إلاّ كمُقـام المسيـحِ بَيْـنَ اليهـودِ
أنـا فـي أُمـةٍ نـدارَكهـا اللهُ غـريـبٌ كصـالـحٍ فـي ثمـودِ[4]

---

(١) المفرش: موضع الفراش.
الصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس.
الحصان: الفرس الفحل.
مسرودة: المنسوجة من الحديد.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣١٩.
(٢) اللأمة: الملتئمة الصنعة.
الفاضة: السابغة.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٢٠.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٩٥.
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٣١٩-٣٢٤.

لقد صوّر لنا صورة الاغتراب التي أحسّ بها الشاعر في أرض نخلة وما لحقه من أذىٰ مثل ما أوذي المسيح ابن مريم عليهما السلام، وكذلك اغتراب صالح عليه السلام بين قومه ثمود الذين عقروا الناقة.

وقد شغلت عقيدة النصارىٰ جانباً واضحاً في الصور التي استقاها الشاعر من القرآن الكريم، ولعل الحروب المستمرة بين سيف الدولة والدولة البيزنطية قد أثارت في خيال الشاعر كثيراً من الآراء، وقد تطرق في شعره إلىٰ عودة المسيح لبني إسرائيل، وادعاء النصرانية لبنّوة المسيح لله، وحديث صلب المسيح، ومعجزات عيسىٰ كشفاء المرضىٰ، وإحياء الموتىٰ.

قال مشيراً إلىٰ ادّعاء النّصارىٰ بأنَّ المسيحَ ابن الله كما أشار إليه القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال المتنبي:

أرىٰ المسلمينَ مع المشركيـ ـنَ إمّا لعَجْزٍ وإمّا رَهَبْ
وأنْتَ معَ اللهِ في جانبٍ قليلُ الرُّقادِ كثيرُ التَّعَبْ
كأنّكَ وَحْدَكَ وَحّدْتَهُ ودان البريّةُ بابنٍ وأبْ[1]

ضمّن الأبيات السابقة مدح سيف الدولة لوقوفه في وجه العدوان البيزنطي النّصراني ووصف تقاعس غيره من المسلمين كالبويهيين والإخشيديين عجزاً ورهبةً من هذا الجهاد الذي خاضَهُ سيف الدولة لحماية المسلمين ونصرةِ الدّين، وكأنّ الشاعرَ لم يجدْ سبباً يُقْعِد هؤلاءِ المسلمينَ عن جهاد البيزنطيين، إلاّ أنْ يكونوا شركاء للنّصارىٰ في اعتقادهم وإيمانهم بعقيدة التثليث.

ثم يقول:

ويَسْتَنْصِرَانِ الذي يَعْبُدانِ وعِنْدَهُما أنّه قَدْ صُلِبْ
ويدفَعُ ما نالَهُ عَنْهُما فيا للرّجال لهذا العَجَبْ[2]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص١٠٤.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص١٠٣-١٠٤.

فقد سخر المتنبي من ملك الروم وقائده اللذين استنصرا المسيح، ليدفعَ عنهما ما ناله من الهلاك (من قتل اليهود في زعمهم) ثم تعجب من هذا فقال: كيف يقدر أن يدفعَ عنهما الهلاك، ولم يستطع دفعه عن نفسه، وقد عبّر بذلك عن رأي الإسلام في النّصارىٰ حول نهايةِ المسيح الذي أوْجَزهُ القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَاقَتَلُوهُ وَمَاصَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

واستوحىٰ في شعره المُعْجزات التي منحها لعيسىٰ عليه السلام من شفاء المرضىٰ وإحياء الموتىٰ فقال:

تَيَمّمَنـــيَ وكيلُـــكَ مـــادِحـــاً لـــي ... وأَنْشَـــدنـــي مـــن الشِّعْـــرِ الغَـــريبـــا
فـــآجَـــرَكَ الإلٰـــهُ علـــىٰ عليـــلٍ ... بَعَثْـتَ إلـىٰ المسيـحِ بـه طبيـا[1]

أراد بذلك الشاعر الذي قصد المتنبي يفاخره بشعره الغث الرديء، شاعراً ملك ناصية النظم، فحاله كمن أرسل من يداوي المسيح وهو الذي وهبه الله القدرة علىٰ شفاء المرضىٰ وإحياء الموتىٰ.

وذكر قصة عزير الذي أحياه الله لعيسىٰ في موضعين من شعره. قال في أحدهما:

كَفَـــلَ الثّنـــاءُ لـــه بـــردِّ حيـــاتِـــهِ ... لمّـــا انْطـــوىٰ فكـــأنّـــه مَنْشـــورُ
وكـأنمـا عيسـىٰ ابـنُ مـريـمَ ذِكْـرُهُ ... وكـأنَّ عـازرَ شَخْصُـهُ المقْبـورُ[2]

لقد استوحىٰ الشاعر قصة عزير الذي تمثل فكرة البعث بعد الموت للتنويه بفضائل المرثي ومكارمه التي أبقت ذكره حياً علىٰ الألسنة بعد مماته.

وقال في موضع آخر عن عازر:

أو كـان صـادَفَ رأسَ عـازرَ سيفُـهُ ... فـي يـومِ مَعْـرَكَـةٍ لأعيـا عيسـىٰ[3]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص١٤٥.
(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص١٣١-١٣٢.
(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص١٩٨.

وقال يذكر الحواريين من قصيدة أنشأها بعد هزيمة مُنِيَ بها سيف الدولة بالقرب من ثغر الحدث قال:

ولـــو رآه حـــواريـــوهُـــمُ لبنَـــوْا على محبّتِهِ الشَّرْعَ الذي شرعُوا[1]

فقد تحدث الشاعر عن عدل سيف الدولة في هذه الحرب التي خاضها ضد الروم وقائدهم الدُّمستق فقال: لو رأىٰ الحواريون سيف الدولة ورَأَوْا عدلَه وإنصافه، لألزموا الروم الدخول في طاعته، وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

يُبيِّنُ المتنبي أنّ سيف الدولة أحقّ بالنّصر من سواه، وتطرقَ الشاعر إلىٰ قصّةِ الإسراء والمعراج التي التقط منها الشاعر خبر البراق وأشار إليه بقوله:

مـــا رآهـــا مكَـــذِّبُ الـــرُّسُـــلِ إلاّ صَـدَّقَ القَـوْلَ فـي صفـاتِ البُـراقِ[2]

فاستعار في وصفه لفرسه صفات البراق الذي أضفت علىٰ الفرس صفات مثالية في السرعة والنشاط، ولو لم تكن كذلك لما اتخذت دليلاً علىٰ صدق المعجزات لدىٰ المكذبين بالرسل، وقد ظهر أثر القرآن الكريم في شعر المتنبي في استمداده بعض الصور البيانية واستخدامه بعض ألفاظه كقوله:

وضاقَتِ الأرضُ حتّىٰ كان هاربُهم إذا رأىٰ غيـرَ شـيءٍ ظنَّـه رَجُـلا[3]

فقد استعار الفعل (ضاق) للأرض مُسْتَوْحياً ذلك من قوله تعالىٰ حين وصف المسلمين في حُنين حين استبدّ بهم الخوف.

قال تعالىٰ: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص١٦٨.

وقد قدم في الشطر الثاني صورة الوهم الذي واجه هؤلاء الفارّين حتىٰ ليعود لهم مطارداً في كل مكان، وبذلك أكثرَ الاستعمال المجازي للفعل (ضاق) كما ورد في القرآن الكريم.

ومن ذلك أيضاً قوله في مدح كافور:

وبـأيـامِـهِ التـي انسلَخَـتْ عَنْـ ـهُ ومـا دارُهُ سِـوىٰ الهَيْجـاءِ[1]

تعمد الشاعر الاستعمال المجازي للفعل (انسلخ) في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس ٣٧].

وقال أيضاً:

أقَـرَّ جِلـدي بهـا علـيّ فـلا أقْـدِرُ حتّـىٰ الممـات أجْحَـدُهـا[2]

حيث استعار للجلد الفعل أقر، كما استعيرت الشهادة للجلود في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١].

أي إن جلدهم يعترف بنعم الممدوح، كما تعترف الجلود يوم القيامة بالذنوب، أو تقرّ بما اقترفوه من آثام.

وقد يستلهم المتنبي بعض الأبيات مستفيداً من الإيحاء الذي تمنحه بعض ألفاظها نحو قوله:

تُبـاري نُجـومَ القَـذْفِ فـي كـلِّ ليْلـةٍ نجـومٌ لـه مِنْهُـنَّ وَرْدٌ وأدْهُـمُ[3]

نلمح في هذا البيت من الشعر أثر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٦-٩].

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٣١٢.

(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٥٣.

فقد شبه الخيل في سرعتها وقطعها الأرض بالنجوم، ولكن إضافة القذف حمّل الصورة سمات أخرىٰ تضاف إلىٰ القوة المعهودة في خيل الحرب، مثل الانقضاض علىٰ الأعداء، وتطهير الأرض من جيوشهم التي تعبث فيها فساداً، كما تفعل النجوم بالشياطين إذ تقصيهم بعيداً عن السماء.

وقد أسهم اللفظ الذي استمده من القرآن الكريم في إعطاء صورة الخيل في المعركة عنصر الحركة والإيجابية في القتال، وفي مقام الرثاء أراد المتنبي أن يسبغ علىٰ المرثي صفات خاصة فاستعار من القرآن الكريم وصف الجنة التي وعد بها الصالحون وما فيها من حور عين نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

وقدم البيت لفظ الحور الذي ارتبط بحسن الجزاء في الجنة فقال:

يُبْكَى عَلَيْه وما استقرّ قرارُهُ في اللّحد حتّىٰ صافَحَتْهُ الحورُ[1]

ومن ذلك قوله:

إلىٰ سَيّدٍ لو بَشَّرَ اللهُ أمةً بغَيْرِ نبيٍّ بشّرَتنا به الرُسْلُ[2]

لارتباط التبشير في القرآن بذكر الأنبياء في نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقد يقتبس الشاعر بعض الصور القرآنية نحو قوله:

يَرىٰ حدّه غامِضاتِ القلوبِ إذا كُنْتُ في هَبْوةٍ لا أراني[3]

فقد وصف تكاثف الغبار في المعركة، مستنيراً بالتصوير القرآني للظلمة الحالكة التي تحول دون رؤية المرء ليده الممتدة أمام ناظريه في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٣٢.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص١٨٥.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص١٩١. الهبوة: الغبرة.

وقد استمد هذه الصورة ليؤكد ما وصف به سيفه من إصابة الهدف التي عبّر عنها في استعارة (يرىٰ) للسيف.

وقد يستمد بعض المعاني القرآنية فيقدمها في صورة جديدة، فعندما شبّه القرآن أناساً لم ينتفعوا بما ميزهم الخالق بأنهم كالأنعام في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

استمد التشبيه القرآني ومثل له معتمداً علىٰ الاستخدام اللغوي لأسماء الاستفهام للعاقل وغير العاقل لقول الشاعر:

حَـولـي بكـلِّ مكـانٍ منهُـم خلـقٌ تُخْطي إذا جِئْتَ في استفهامها بمَنِ[1]

أي حولي من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم فإذا قلت مَنْ أنتم؟ أخطأت في القول لأنَّك خاطبت ما لا يعقل بما يخاطب به من يعقل، بل إذا أردت أن تقول لهم من أنتم؟ فقل: ما أنتم؟

ومن دلائل تأثره بالقرآن الكريم قوله:

دعـوْتـك عنـد انقطـاع الـرَّجـاءِ والمـوتُ منـي كحبْـل الـوريـدِ[2]

حيث اقتبس من الآية القرآنية في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [قّ: ١٦].

واستلهامه معاني بعض الآيات القرآنية يحمله علىٰ الاحتفاظ ببعض ألفاظها أحياناً كما في قوله:

وجُـرمٍ جَـرَّهُ سفهـاءُ قَـوْمٍ وحَـلَّ بغَيْـر جـارمـهِ العـذابُ[3]

يبدو من أثر قوله تعالىٰ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أو من قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢١٠.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٨١.

الفقه عند المتنبي

يعد الفقه من آثار الثقافة الدينية التي ظهرت في شعر أبي الطيب، حيث اتخذ الشاعر من شعره معرضاً لبعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدود والمواريث وغيرها من الأحكام.

ومن أوائل شعره الذي ظهر فيه هذا الأثر الفقهي قصيدته التي نظمها في سجنه ومطلعها:

أيـــا خَـــدَّدَ اللهُ وِرْدَ الخُـــدودِ وقَـــدَّ قُـــدودَ الحِســـانِ القُـــدودِ[1]

وقد حاول الشاعر في هذه القصيدة تبرئة نفسه مما اتهم به فاستعان ببعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدود، ومما عرض له السن الذي فيها يجب إيقاع الحد علىٰ مرتكب الإثم قال:

تَعَجَّـــلُ فـــيَّ وجـــوبُ الحـــدودِ وحـــدّي قبـــل وجـــوبِ السُّجـــودِ[2]

فقد أشار الشاعر إلىٰ أنه لم يصل إلىٰ سن البلوغ الذي يجب عليه الحد إذ ما يزال دون سن السجود، وقد كان ذلك محاولة لنفي التهمة التي لصقت به بتصغير نفسه أمام الحاكم.

واستطرد إلىٰ التفريق بين إرادة الفعل، والفعل نفسه، إذ لا يعاقب الناوي فعل الحرام حتىٰ يرتكب الإثم بالوقوع فيه، وذلك في قوله:

وكُـــنْ فـــارِقـــاً بيـــنَ دعـــوىٰ أَرَدْتُ ودعـــوىٰ فَعَلْـــتُ بشـــأْوٍ بعيـــدِ[3]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٤١.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٧.

ثم تعرض للشروط التي يجب توافرها في الشهادة حتىٰ يعتمدها أولو الأمر فقال:

فمـــا لَـــكَ تَقْبـــلُ زورَ الكـــلامِ وقَـــدْرُ الشَّهـــادَةِ قَـــدْرُ الشُّهـــودِ
فـــلا تسْمعَـــنَّ مِـــنَ الكـــاشحيـــنَ ولا تَعْبـــأنَّ بِمَحْـــكِ اليَهُـــودِ[1]

أشار بذلك إلىٰ بطلان الحكم عليه بالسجن إذ إن من شهد ضده لم تتوافر فيه شروط الشاهد العدل، والطعن بالشهود ردّ للتهمة من أساسها واجتثاث لها من الجذور، وإذا كان الشهود أكثر من كذابين فماذا يبقىٰ للشهادة من قيمة؟ وفي هذا الاتجاه لا يزال المنطق قائماً علىٰ الفقه، ولكنه يأخذ حيثية أخرىٰ، وهي حيثية الطعن بالشهود وتجريدهم من صفة العدالة ومن الواجب فقهياً أنْ يكونَ الشاهد عادلاً، قال تعالىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ويطلب الشاعر من الحاكم ألاّ يسمع لهؤلاء الذين يضمرون العداوة (الكاشحين) ويقصد بذلك العلويين الفاطميين[2] ويزعمون وما أظنُّ ذلك إلاّ صحيحاً أنّ جدهم كان يهودياً وأسلم ليدخل علىٰ الإسلام العقائد الفاسدة.

وقد تكون شخصية الممدوح واتصالها ببيئة الفقهاء والقضاء دافعاً يقود الشاعر إلىٰ إضفاء مسحة فقهية علىٰ صوره وألفاظه نلمح ذلك في قصيدة مدح بها القاضي الأنطاكي، قال فيها:

ألْقىٰ الكرامُ الأولىٰ بادوا مكارِمَهُم علىٰ الخَصيبيِّ عندَ الفرْضِ والسُّنَنِ
فهُنَّ في الحَجْر منه كلّما عرضَتْ لـه اليتـامىٰ بـدا بـالمجْـدِ والمِنَـنِ[3]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٤٧.
(٢) محمود شاكر: المتنبي جـ١ ص١٠٨.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢١٤.

أي أنَّ الكرام الذين هلكوا ورّثوه مكارمهم فهو يستعملها عندما يلزمه من الفريضة والسنّة أي هي تحت تصرفه، يتكفل أمرها، شأنها في ذلك شأن من يتولىٰ أمرهم من اليتامىٰ، وقد قادته شخصية القاضي الذي يمدحه إلىٰ جعل المكارم في صورة الأيتام بإيقاعها تحت الحجر، وكانت هذه الصورة وراء ذكره في البيت الأول ليمهد لذكر اليتامىٰ في البيت الثاني.

وهكذا جمع المتنبي في البيتين بعض الألفاظ التي اتصلت ببيئة الفقهاء «الفرض، السنن، اليتامىٰ، الحجر».

وترىٰ ذلك في مدحه القاضي أبي الفرج أحمد بن الحسين المالكي حيث قال:

أقاضينا هذا الذي أنْت أهلُهُ غَلِطْتُ ولا الثُّلثان هذا ولا النِّصْفُ
وذنبي تقصيري وما جِئْتُ مادحاً بذَنْبي ولكنْ جئتُ أسألُ أن تَعْفو[1]

فقد استمدّ الشاعر بعض الألفاظ التي ترد في أحكام المواريث كما أضفىٰ علىٰ البيت القالب الحسابي أو العددي، ومثل هذه الألفاظ المتعلقة بقوانين الميراث والوقف قوله في مدح محمد بن زريق الطرطوسي:

لَوْ جادَتِ الدُّنْيا فَدَتْكَ بأهلِها أو جاهَدَتْ كُتِبَتْ علَيْكَ حبيسا[2]

والحبيس: المحبوس وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب.

أي لو كانت الدنيا ذات جود لأبقت عليك وفدتك بمن فيها، ولو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجعلت نفسها محبوساً عليك، فكانت لا تغزو إلاّ لك وعنك وبأمرك.

وقد تكون هذه الإشارات الفقهية وليدة السياق الذي وردت فيه من ذلك قوله:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٩١.
(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٠٢.

كـأنَّ سخـاءَكَ الإسـلامُ تَخْشـىٰ إذا مـا حُلْـتَ عـاقِبـةَ ارتِـدادِ[1]

فقد جعل سخاء ممدوحه بمنزلة اعتقاده دين الإسلام، فيقول: أنْتَ تدين بالسخاء وتعتقده كما تدين بالإسلام وتعد تحوّلك عنه كأنه الردة فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة عقابها القتل ودخول النار، وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ . . . ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد جعل العطاء والقتال فريضة حيث يقول:

ويَـدٌ كـأنَّ قِتـالَهـا ونَـوَالَهـا فَـرْضٌ يَحِـقُّ عَلَيْـكَ وهْـوَ تَبَـرُّعُ[2]

فقد مدح فاتكاً بالتزامه النوال والقتال كأنَّه أمام فرائض وجب عليه أداؤها علىٰ الرغم من كونها في الحقيقة نوافل.

وتلوح سمة الفقه علىٰ البيت في ألفاظه المنتقاة من الفقه والتي هي «الفرض التبرع».

ومن أقواله التي يبدو فيها الأثر الفقهي واضحاً قوله:

وزارِكَ بـي دونَ الملـوكِ تحـرُّجـي إذا عَنَّ بَحْرٌ لم يَجُزْ لي التَّيمُّمُ[3]

لم يبح الشاعر لنفسه أن يتوجه بشعره إلىٰ غير ممدوحه إذ لا أحد يغني عنه وهل يجوز لمن أراد الطهارة أن يتيمم والماء موجود.

وقد استخدم الشاعر هذا الحكم في التمثيل علىٰ التي ذكرها في الشطر الأول مما زادها إبانةً ووضوحاً، ويظهر أثر الفقه أيضاً في الغزل حيث قال:

قفي تغْرَمِ الأولىٰ من اللَّحْظ مُهْجتي بثـانيـةٍ والمُتْلِـفُ الشَّـيءَ غـارِمُـه[4]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٥٩.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص٩١.

(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٣٠.

لقد تمنىٰ الشاعر أن تُعيدَ الحبيبة النظر إليه إذْ إنَّها أضاعت مهجته بنظراتها الأولىٰ، فوجب عليه ردّها إذ إنّ من أتْلَف شيئاً وجب عليه غرامته كما يقول الفقهاء، وقد صاغ الشاعر بيته صياغة عقلية مستعيراً الحكم الفقهي (المتلف لشيء غارمه).

وقد أستمد بعض الأحكام الفقهية وأوردها في صورة علىٰ غير ما وردت عليه في الأصل، نحو قوله في وصف الحُمّى:

وزائِـرَتـي كـأنَّ بهـا حَيـاءً ... فليـس تـزورُ إلا فـي الظّـلامِ
بـذلْـتُ لها المطـارِفَ والحَشَـايا ... فعـافَتْها وبـاتـتْ فـي عِظـامـي
يضيـقُ الجلـدُ عـن نَفْسـي وعنْها ... فتـوسِعُـهُ بـأنـواع السَّقـام
إذا مـا فـارقَتْنـي غَسَّلَتْنـي ... كـأنّـا عـاكفـانِ علـىٰ حـرام[1]

فالإشارة الفقهية في البيت الرابع وليدة السياق، فقد بدأ الشاعر حديثه عن الحمىٰ، بجعلها زائرة له في الظلام إلىٰ آخر ما ورد في الأبيات التي تلت ومن ثم فقد جعل العرق الذي أصاب جسده المحموم بمثابة الغسل والطهارة التي يستوجبها الجماع، وقد عاب النّقاد قوله «حرام» اعتراضاً منهم علىٰ استخدام المأثور الفقهي علىٰ غير وجهه الصحيح، فقال الحاتمي: «الحلال أولىٰ بالغسل وأخص من الحرام فكيف خصصت الحرام بوصف يشركه منه غيره، وله به اختصاص فوق اختصاصه؟».

وقد نقل الحاتمي دفاع المتنبي «أتيتُ بأحدها فدل علىٰ الآخرة، وإنْ لم أذكره»[2]، وفي القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وهي تقي من البرد أيضاً.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٤٦.

(٢) هدىٰ الأرناؤوطي: ثقافة المتنبي ص١٨٩.

أما ابن الشجريّ فقد ذكر[1]: «أنه خصّ الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة» وهذا التعليل صحيح، إذ يناسب الصورة التي أرادها الشاعر للحمىٰ في الأبيات السابقة ويوحي بما يعقب زيارتها من آلام وأوجاع.

وقد يكون استمداده لبعض الإشارات الفقهية معبراً عن إدراكه لاختلافات الفقهاء في بعض الأحكام حيث قال:

أرادَتْ كـــلابٌ أنْ تقـــومَ بـــدَوْلـــةٍ لمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشّوَيهاتِ والإبْلِ[2]
أبىٰ رَبُّها أنْ يتركَ الوَحْشَ وَحْدَها وأنْ يُؤمنَ الضَّبَّ الخبيثَ من الأكْلِ

يمكن القول إطلاق صفة الخبيث علىٰ الضَّبّ، إيماء إلىٰ اختلاف الفقهاء في أكله واستناد كل طائفة علىٰ ما رُوي في الأثر من إباحته وتحريمه.

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٤٦.
(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٢٩٥.

التصوف الإسلامي

عاصر أبو الطيب المتنبي فترة مزدهرة من تاريخ التصوف الإسلامي في أوائلِ القرن الرابع الهجري، حيث ٱنتشرت الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي، وٱنتظموا طوائف وجماعات، وأصبحَ لهم مريدون وأنصار، وٱستطاع كثير منهم التعبير عن تأملاتهم ومواجيدهم في أشعارهم التي تعدّ من دواعي ٱزدهار التصوف.

لقد كان للتصوف أثرٌ كبيرٌ في شعر أبي الطيب المتنبي، ومن يقرأ ديوان الشاعر يجده يستوعب حيزاً واسعاً من خواطره وأفكاره.

ولعل الصوفية من أبرز الجماعات التي تحدث المؤرخون والنّقاد عن أثرها في شعر أبي الطيب، يقول ابن جني[1]: «وكثيراً ما يسلك المتنبي طريقة المتصوفة» أمّا الثعالبي فقد خصص فصلاً في يتيمة الدهر عن امتثال الشاعر لأساليب المتصوفة.

يقول شوقي ضيف[2]: «إنَّ المتنبي حين عدل بشعره إلىٰ العبارة الصوفية كان قد أسلم هذا الشعر إلىٰ صعوبات في التركيب».

لقد عدّ النقاد أثر التصوف في شعر المتنبي من العيوب التي رأوْا فيها خروجاً علىٰ عمود الشعر، وتقاليده الموروثة.

اقرأ هذه الأبيات التي يقولها في ممدوحه:

ذا السّراجُ المنيرُ هذا النّقيُّ الـ ـجَيْبِ هذا بَقِيَّةُ الأَبْدالِ
فَخُذا ماءَ رِجْلِهِ وٱنضحا في الـ ـمُدْن تأمَنْ بوائقَ الزَّلْزالِ
وٱمسحا ثوبَهُ البقيرَ علىٰ دا ئِكُما تُشْفَيا من الأَعْلالِ[3]

---

(١) هدىٰ الأرناؤوط: ثقافة المتنبي في شعره ص٧٤.

(٢) محمد عبد الرحمٰن شعيب: المتنبي بين ناقديه ص٢٩٧.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٩٦-١٩٧.

عند قراءة هذه الأبيات تحس بأنَّكَ إزاء شاعرٍ صوفي يصوغ معانيه صياغة صوفية، أليس يمدح صاحبه كما يمدح الصوفية أقطابهم فيجعله بقية الأبدال؟

يقول العكبري: «الأبدال سُموا أبدالاً لأنهم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق، وقيل إذا مات أحدهم أبدال الله مكانه آخر، فهم لا ينقضون حتىٰ تقوم الساعة ويقال هم أربعون رجلاً في أقطار الأرض».

يقول شوقي ضيف: «ليس كل ما في هذه الأبيات من أثر التصوف هو أنه استعار لفظة الأبدال من الصوفية، بل إننا نراه يتحدث عن ممدوحه كأنه يتحدث عن رجل مبارك من رجالهم، وإلاّ فما هذا الماء الذي يمنع الزلزال ويشفي الأعلال؟ والحق أن المتنبي كان ينزع بشعره منزعاً صوفياً يحاول أن يجدد في فنه ولكنه تجديد غريب»[1].

أمّا هدىٰ الأرناؤوطي[2] فإنها تقول: «لقد جعل ممدوحه في مقام القدسية والتقرب إلىٰ الخالق، وجعل آيته إتيانه المكرمات، ومن الكرامات التي أضفاها عليه بركته التي تمنع الخراب والدمار الذي يحدثه الزلزال في المدن، ومعالجته المرضىٰ بمس ثوبه الطاهر المبارك».

وعلىٰ هذا النمط من الفكر الصوفي يذكر الخِضْر في قوله:

إذا ما ذَكَرْنا جُودَهُ كانَ حاضِراً نأىٰ أوْ دنا يَسْعىٰ علىٰ قَدَمِ الخِضْرِ[3]

أي شبه الممدوح بالخضْر، ويقال: إنَّ الخضر لا يذكر في موضع إلا حضر والخضر عند الصوفية حيّ يرزق[4]، ويتميز بالكرامات وخوارق العادات، استمع إلىٰ هذا البيت من قصيدة مدح بها بدر بن عمار:

---

(١) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر الحديث ص٣١٤.

(٢) هدىٰ الأرناؤوطي: ثقافة المتنبي ص١٩٧.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص١٣٧.

(٤) المصدر نفسه جـ٢ ص١٣٧.

تجلّـى لنـا فـأضَـأنـا بِـهِ كـأنّـا نُجُـومٌ لَقينـا سُعُـودا[1]

فالشاعر يتصنع فكرة التجلي التي يؤمن بها الصوفية، وهكذا نرىٰ أنّ المتنبي يستعمل كثيراً من اصطلاحات القوم وألفاظهم.

استمع إلىٰ الشاعر في هذين البيتين وهو يستعير اصطلاح «الحال».

وحـالاتُ الـزّمـانِ عَلَيْـكَ شتّـىٰ وحـالُـكَ واحِـدٌ فـي كـلِّ حـال[2]

وقوله:

ولكِـنْ تفـوقُ النـاسَ رَأيـاً وحِكمـةً كما فُقتَهُـمْ حـالاً ونفسـاً ومَحْتَـدا[3]

والحال عند الصوفية: معنىٰ يرد علىٰ القلب من غير تعمد ولا اجتلاب من طرب أو حزن[4].

أما اصطلاح «الخواطر» فهو في مثل قوله:

عليـمٌ بـأسْـرَارِ الـدِّيـانـاتِ واللُّغَـىٰ له خَطراتٌ تفْضَحُ النَّاسَ والكُتْبا[5]

واصطلاح الباطن والظاهر (الحجاب) في قوله:

مَـنْ كـانَ ضَـوْءُ جبينِـهِ ونَـوالُـهُ لَـمْ يُحْجبـا لـم يَحْتَجِـبْ عَـنْ نـاظِـرِ
فـإذا احتجبْـتَ فـأنـتَ غيـرُ محجَّـبٍ وإذا بَطَنْـتَ فـأنـتَ عَبْـنُ الظـاهِـرِ[6]

قال الشاعر هذين البيتين حين حجبه بدر بن عمار، فذكر أن صورة بدر وعطاءه انطبعا في قلبه، حتىٰ لا يحول الحجاب دون رؤيته لها، ولعل هذه الفكرة ذكرته بصورة الحجاب عند الصوفية، ويذكر اصطلاح الحضور والغيبة فيقول:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٦٦.
(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٢٠.
(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٢٨٩.
(٤) هدىٰ الأرناؤوطي: ثقافة المتنبي ص١٨٠.
(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٦٢.
(٦) المصدر نفسه جـ٢ ص١٣٨.

فَدَتْكَ نُفُوسُ الحاسدينَ فإنَّها مُعَذَّبةٌ في حَضْرةٍ ومغيبِ[1]

وبذكر اصطلاح «الزمان» في مثل قوله:

نحنُ مَنْ ضايقَ الزمانُ له فيـ ـكَ وخانتْهُ قُربَكَ الأيّامُ[2]

أما «الوقت» فهو من المفردات التي تكررت في شعر المتنبي كقوله:

قَدْ استراحَتْ إلىٰ وقْتٍ رقابُهُمُ من السّيوفِ وباقي القومِ يَنْتَظِرُ[3]

ومثل قوله:

فتىً يشتهي طولَ البلادِ ووقتُهُ تَضيقُ به أَوْقاتُهُ والمقاصِدُ[4]

وقد استمد المتنبي من القرآن الكريم إحدىٰ الآيات التي اعتمد عليها الصوفية في مبحثهم عن القرب في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فقال:

دعوتك عند انقطاعِ الرجاءِ والموتُ مِنِّي كحبْلِ الوريدِ[5]

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٥٦.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٤٣.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص٩٨.

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٦.

شعر الجهاد

الجهاد هو: بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير **سواد** أو غير ذلك، فالقتال لإعلاء كلمة الله هو الجهاد، أما الجهاد بالرأي في سبيل الله فهو إن كان رأياً يتعلق مباشرة بالقتال في سبيل الله فهو جهاد وإن كان لا يتعلق مباشرة فليس جهاداً شرعاً، ولو كانت فيه مشقات، ولو ترتبت عليه فوائد لإعلاء كلمة الله، لأن الجهاد شرعاً خاص بالقتال ويدخل فيه كل ما يتعلق مباشرة بالقتال، ومثل الرأي الكتابة والخطابة إنْ كانت متعلقة مباشرة بالقتال كخطبة في الجيش لتحمسه ليباشر القتال، أو مقال تحريضي لقتال أو قصيدة تلهب النفوس لقتال الأعداء فهو جهاد وإلاّ فلا. وعلىٰ ذلك فلا يطلق علىٰ الكفاح السياسي جهاد، ولا علىٰ مقارعة الحكام المسلمين الظالمين جهاد وإن كان ثوابه كبيراً، وفوائده للمسلمين عظيمة، فالمسألة ليست بالمشقة ولا بالفائدة، وإنما هي بالمعنىٰ الشرعي الذي وردت فيه هذه الكلمة، والمعنىٰ الشرعي هو القتال وكل ما يتعلق به من رأي وخطابة وشعر وكتابة ومكيدة وغير ذلك وسبب الجهاد ليس الجزية وإن كنا نكف عنهم عند قبول الجزية وإنما سبب الجهاد هو كون الذين نقاتلهم كفاراً امتنعوا عن قبول الدعوة، قال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]، أي قاتلوهم لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

وقد جاء في آية أخرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [النساء: ٧٦]، وقال: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢]، وقال: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الآيات كلها أمر بالقتال لوصف معين هو سبب القتال وهو الكفر.

والجهاد فرض بنص القرآن والحديث قال تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال أيضاً: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»، وقال ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله»، وقال أيضاً: «الجهاد ماضٍ إلىٰ يوم القيامة»، وعن زيد بن خالد قال: قال رسول الله ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا».

والجهاد فرض كفاية ابتداء، وفرض عينٍ إذا هجم العدو علىٰ من هاجمهم وفرض كفاية علىٰ غيرهم، ولا يسقط الفرض حتىٰ يطرد العدو وتطهر أرض الإسلام من رجسه، ومعنىٰ كون الجهاد فرض كفاية ابتداء هو أن نبدأ بقتال العدو وإن لم يبدأنا، وإن لم يقم بالقتال ابتداء أحد من المسلمين في زمن ما أثم الكل بتركه والقتال ابتداء إذا قام به أهل مصر سقط عن أهل أندونيسيا إذ قد وُجد فعلاً قتال من المسلمين للكفار المحاربين فحصل فرض الجهاد، أما إذا نشب القتال بين الكفار والمسلمين ولم تحصل الكفاية بقتال الكفار من قبل أهل مصر وحدهم فلا تسقط فرضيته عن أهل الباكستان وأندونيسيا بقيام أهل مصر والعراق بل يفرض علىٰ الأقرب فالأقرب من العدو وإلىٰ أن تحصل الكفاية فلو لم تحصل الكفاية إلاّ بكل المسلمين صار الجهاد فرضاً علىٰ كل المسلمين حتىٰ يقهر العدو.

والجهاد عمل جماعي ولا يتأتىٰ إلاّ أن يكون جماعياً، لأن عمل الجهاد لا يمكن أن يقوم به فرد، فهو قتال للكفار جميعاً لإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، ولذلك فإن الجهاد من المسؤوليات الملقاة علىٰ عاتق الأمة جميعها، والتقصير فيه يعرض الأمة جميعها للهلاك، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والجهاد هو مبادأة العدو بالقتال وإنه من أجل تحطيم الحواجز المادية التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية للوصول إلىٰ الناس ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور.

يَرىٰ بعض الناس ممن يدّعون العلم أن الجهاد ليس مبادأة العدو بالقتال، بل هو للدفاع فقط، ويَرىٰ فريقٌ آخر ممّن يتظاهر بالإسلام بأن الفتوحات الإسلامية كان غرضها الاستعمار.

ولإزالة الشبهة نقول للذين يزعمون أن الجهاد استعمار نقول لهم: إنكم قسّتم الفتوحات الإسلامية علىٰ الفتوحات الاستعمارية، وأنكم لم تستنيروا بنور الإسلام لتفرقوا بين النور والظلام.

وأما الفريق الذي قال بأن الجهاد دفاع أي ليس مبادأة العدو بالقتال فقد استدل علىٰ رأيه بقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ويبدو أن مَن يقول بهذا الرأي متأثر بتشويش المستشرقين علىٰ الإسلام وخاصة موضوع الجهاد بالذات لأن الغرب كان يهمه إلىٰ جانب إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين إظهار أن الجهاد وحشية وهمجية.

ولإظهار الحقيقة نقول: إن أدلة الجهاد عامة ومطلقة وتشمل الحرب الدفاعية، ومبادأة العدو بالقتال، والحرب المحدودة والحرب الوقائية وغير ذلك، فهي تشمل كل أنواع القتال للعدو لعمومها أو إطلاقها فتخصيصها بالحرب الدفاعية أو تقييدها بأن تكون حرباً دفاعية لا هجومية يحتاج إلىٰ نص يخصّصها أو إلىٰ نص يقيّدها، ولم يرد أي نص يدل علىٰ ذلك لا من الكتاب ولا من السنة، لذلك تبقىٰ علىٰ عمومها تشمل كل حرب من الحروب وكل قتال للعدو ولنأخذ آيات الجهاد التي وردت في سورة التوبة لأن سورة التوبة من آخر ما نزل حتىٰ لا يبقىٰ مجال لادعاء التخصيص أو التقييد أو النسخ، قال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال أيضاً: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

من هذا التعريف للجهاد علينا أن نثبت أن الشاعر المتنبي قد اشترك في الجهاد والذي يثبت ذلك ما قاله من شعر فإلىٰ ديوان المتنبي لنتعرف علىٰ شعر الجهاد عند الشاعر.

جاهد المتنبي في سبيل الله إذ اشترك في المعارك التي خاضها سيف الدولة منذ عام ٣٣٩هـ-٣٤٥هـ وجاهد بلسانه حيث قال الشعر محرضاً المسلمين علىٰ القتال في سبيل الله.

إن قصائد المتنبي الجهادية العديدة التي قالها خاصة في سيف الدولة تلحّ علىٰ الجهاد وعلىٰ الجانب الديني، فالمعارك بين معسكرين، معسكر الإيمان يقوده ممدوحه وأنصاره ومساعدوه وحلفاؤه، ومعسكر الكفر يقوده الدمستق باسم ملكهم مع حلفائهم من بلغار وروس.

إنّ الصفةَ البارزةَ للمعسكر الأول أنه مسلمٌ موحد، يَرْضىٰ عنه الله لأنه حزبه الذي ينصر دينه، ويُؤمِّن حجيجه ويقطع دابر أعدائه، والصفة البارزة للمعسكر الثاني أنه كافر مشرك وبالجملة نصراني يؤمن بعقيدة التثليث.

في هذه الجهاديات تكرار ملحّ علىٰ الجانب الديني في الحرب فيما يكاد يذكر الروم حتىٰ يلحقهم بدينهم وما يكاد يذكر الحمدانيين حتىٰ يطيل الكلام في إسلامهم ويتردد ذكر المقدسات الدينية كمنابر المسلمين وحجيجهم وصلبان النصارىٰ وأديرتهم.

لذلك يتحدث الباحثون عن شعر أبي الطيب الذي قاله في الجهاد ـ في حرب سيف الدولة مع الروم ـ.

والحق أن المتنبي إنما برز في شعر الجهاد ـ الحرب ـ لذلك نعته النقاد بأنه قائد عسكر[١] وجعله شفيق جبري[٢] وصاف معارك. ولا غرابة في ذلك فالمتنبي

---

(١) مصطفىٰ الشكعة: مملكة سيف الدولة ودولة الأقلام ص٢٠٧.

(٢) سهيل عثمان، منير كنعان: المحصول الفكري عند المتنبي ص٣١٠.

برز في هذا النوع من الشعر ـ شعر الحرب ـ منذ يفاعته، ولم يتوقف عن ذكر الحرب حتىٰ آخر حياته، والذي دعا الشاعر إلىٰ ذكر الحرب الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة، حيث كانت البلاد في اضطراب والأمصار في تطاحن.

لقد وُلد شاعرنا وقعقعة الأعنة، وصهيل الخيول، وغمار الوقائع، وصليل السيوف يصدع الآذان، ويملأ الآفاق، والجيوش تتحرك في كل مكان ولا مَجْد إلا للمقاتلين.

لقد كانت الحروب البيزنطية العربية مَنْبعاً خصيباً للشعراء الذين عاصروا هذه الحرب أمثال أبي تمام والبحتري، فقد مجّد هؤلاء المأمون والمعتصم وقادتهما، ولكن أعظم الشعراء المتغنين بالحرب البيزنطية العربية دون منازع هو أبو الطيب المتنبي، الذي بكبريائه الفطرية، وحبّه المفرط للمجد كان مؤهلاً كل التأهيل لأن يغدو الشاعر الذي يصطفيه لأمجاده، أمير ماجد شغله الشاغل الجهاد، فخلال السنوات ٣٣٩-٣٤٥هـ كان المتنبي رفيق سيف الدولة في غاراته الكثيرة، فالمعارك التي خاضها الأمير سيف الدولة، ودارت رحاها في آسيا الصغرىٰ وسوريا وبلاد ما بين النهرين، وبسالة سيف الدولة وجرأته أوحت للشاعر بالعديد من قصائده.

إنّ أبا الطيب قد تَفَوّق علىٰ أقرانه في هذا الضرب من الشعر، أو وصف الجهاد بين المسلمين والروم، لأنه شاعر يصدر عن وعي، وعن صحبة للموضوع الذي ينشد فيه، فلقد اختبر بنفسه هول الحرب ومرارة الصراع، وخاض غمار القتال مع المقاتلين فنقل تجربته شعراً.

لقد كان الشاعر مُبْدعاً في تصوير الأحداث الحربية ومن أبْرزِ سِمات إبداعه الفَهْم التّام لحقائق الحياة التي عاشها وتوغل فيها، وكان نجاحه في الربط بين المعرفة الحقيقية لآمال أمته، وما أوتي من قوة المشاعر عاملاً أساسياً في إبداعه.

لقد وقف أبو الطيب مع مآثر الأفراد الذين عايشهم وبطولاتهم، وتفوق في تصوير مآثرهم «فكان لسانه إذا خاض في وصف معركة أمضىٰ من نصالها،

وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتىٰ تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا، كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدىٰ عيانه»[1].

لقد اختلف المتنبي عن أقرانه في وصف المعارك، فلا أبو تمام ولا البحتري ولا غيرهما من كبار شعراء العباسيين يبلغون شأوه في هذا الميدان، لأن هؤلاء لم يفرغوا لهذا الفن كما فرغ، ولم يقفوا عليه أكثر جهدهم كما وقف عليه أكثر جهده، ثم هم لم يشتركوا في الجهاد كما اشترك فيه، ولم يشهدوا مواقع الحرب كما شهدها، ولم ينعموا كما نعم، ولم يشقوا كما شقي، فهم كانوا يقولون الشعر في وصف الجهاد مع الأعداء متأثرين بفنهم وحده، ولكنه كان يقول متأثراً بما يرىٰ قبل كل شيء، لذلك فإنك إذا قرأت وصف المتنبي لهذا الجهاد وجدت فيه ناراً تضطرم ولا تكاد تمس قَلْبَك حتىٰ تشيع فيه، وإذا قلبك يضطرم أيضاً حماسة ونشاطاً[2].

لقد أدرك المسلمون أن الحرب تعني كسر كل الحواجز التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية ومن ثم التقدم في بلاد الأعداء لفتحها ورَفْع راية الإسلام فوقها، وقد تكون الحرب دفاعية لرد العدوان، وقد أكد هذه الحقيقة الدين الإسلامي يوم نادىٰ بالمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لقد كان في عصر أبي الطيب أمة ممزقة الأوصال، وكان هناك أعداء يتربصون بها الدوائر، وكان هناك إمارة عربية واقفة بشموخ متحدية الأقدار، رافضة الانهزام معلنة بقاء الأمة علىٰ الرغم من محنتها وتشتتها، وكان هناك رجال مخلصون اعتبرهم المتنبي والتاريخ رمزاً للإنسان العربي المسلم.

---

(١) ابن الأثير: المثل السائر ص٢٣١.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ص١٧٤.

لقد كان لكلمات المتنبي دورها الفاعل في ذروات التحدي، وكانت عاملاً أساسياً في تحريك الأمة نحو مواطن الأعداء، وبيان مكامن الأخطار، لقد كان يدعو إلىٰ الثورة من أجل التخلص من ربقة الأعداء، ومن زمر الأعداء المتخاذلين.

لقد وجد أبو الطيب نفسه عند أمير عربي مجاهد لا يكتفي بإذاعة فضائله ووصف وقائعه بل يشاركه في القتال ويحضّ الجند علىٰ خوض غمار المعارك.

لقد أستطاع أبو الطيب أن يَجْمعَ في شعره بين الفن والفروسية، فهو شاعر استطاع أن يرسمَ بمهارته الفنية وإحساسه المرهف، وخياله الواسع أروع اللوحات المتجانسة الخطوط والألوان النابضة بالحركة والحياة للمعارك التي خاضها مع سيف الدولة والتي شاهدها عن قرب، لذلك امتاز شعره الجهادي ببراعة التصوير وأصالة الفن والدقة في تتبع أحداث المعركة بالصورة والصوت، لذلك جاء شعره عبارة عن عدسة تصويرٍ ناطقة تنقل إليك صورة الجيشيْن المتحاربيْن، فالأعداء جاؤوا غارقين بالسلاح والحديد.

وإذا نظر الإنسان إلىٰ خيولهم خُيِّلَ إليه أنها بلا قوائم، وإذا لمع السلاح تحت أشعة الشمس لم نستطعْ أن نميزَ بينَ السيف من غيره لأنّ السلاح قد غطىٰ أجسادهم، وأنّك واجدٌ المتنبي وهو يصوّر المعركة، يعرض عليك صوراً حية للكتائب المتصارعة وتعبئتها، خططها الحربية، طرقها في التقدم والهجوم وما يصادفها عَبْر هذا الاندفاع من استحكامات عسكرية وعوارض طبيعية، وما أنْ يقف بك في حومة الوغىٰ والصراع حتىٰ تسمعَ هتافاتِ الجند وأنين الجرحىٰ، وصهيل الخيول وجلجلة الأسلحة.

الحرب عند أبي الطيب تحتاج إلىٰ قيادة واعية مبدعة مخلصة لدينها وتحتاج إلىٰ تخطيط سليم من أُناس مختصين في شؤون الحرب، وإلىٰ أمة متفانية من أجل الدفاع عن عقيدتها، وقد وجد ذلك في الأمير المجاهد سيف الدولة.

لذلك تجد في وصف المتنبي لجهاد سيف الدولة عند الثغور فتوة عربية، وترىٰ هذه الفتوة العربية تشيع في وصف المتنبي حيّة قوية مضطربة شديدة

الاضطراب كأنها الكهرباء، لا تكاد تتصل بهذا الشعر حتىٰ ينتقل إليك ما صوّر فيه المتنبي الثقة، والإيمان بالحق، والارتفاع عن صغائر الأمور دائماً[1].

إن المتنبي ارتقىٰ بشعر الجهاد حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ أقصىٰ ما كان قد قدّر له من كمال، وإنك تشعر هذا شعوراً قوياً واضحاً حين تقرأ شعر المتنبي وشعر أبي فراس في وصف هذا الجهاد، فكلا الشاعرين قد شهد المواقع واشترك فيها، وذاق لذاتها وآلامها، ثم وصف ما تركت في نفسه، وفي نفس غيره من الأثر ولكنك تجد في وصف المتنبي قوة وفتوة ونشاطاً وعنفاً لا تجدها في شعر أبي فراس الذي ظهرت فيه دقة الحس، ورقة العاطفة، فهو لا يخلو من فتور لا يلائم هذه الحياة العنيفة التي كان يحياها العرب من المسلمين في ذلك الوقت.

إن أشعار المتنبي في وصف المعارك تعطينا من الانطباع البصري والسمعي الحقيقي للزحوف والمعارك والتعقيبات والمجازر أكثر مما تعطينا الحكايات التاريخية، وهي أفضل من الحكايات التاريخية في كونها تقدم لنا لوحة حيّة عن أبهة حفلات استقبال الشعراء وعظموتها التي لم يأت عليها المؤرخون إلا بكلمات معدودات، فالقصائد تعجّ بهذه التفاصيل التي تشرئب إليها تطلعاتنا العصرية وذلك لاستحضار الماضي بصورة دقيقة[2].

إنّ أبا الطيب كان يقول الشعر متأثراً بما يرىٰ قبل كل شيء، ويُحْكَىٰ عنه أنّه كان لا يريد أنْ يصف الوقائع التي لم يشهدها مع الأمير سيف الدولة ومن هنا نفهم السبب الذي تحسه حين تقرأ وصفه لهذا الجهاد بين المسلمين والروم.

إنّ شعر الجهاد الذي نحن بصدده هو عبارة عن وثائق تاريخية، لم تتهيأ لشاعر قبله من حيث الواقع والكثرة، فهو يذكر دقائق الأمور في المعارك فحين تقرأ شعر الجهاد، ترىٰ نفسك أمام جيش المسلمين المظفّر يقوده البطل المجاهد ويعلن البشائر بعد كل نصر حاثاً الأمير علىٰ ضَرْبِ الكافر المعتدي.

---

(١) طه حسين: مع المتنبي ص١٧٤.

(٢) ماريوس كنار: المتنبي والحرب البيزنطية العربية، مجلة المورد عدد ٢ ص٧٥-٧٦.

لقد نظم الشاعر في سيف الدولة (١٥١٢) بيتاً من الشعر في أكثر من ثمان وثلاثين قصيدة وإحدىٰ وثلاثين قطعة، وهذا الشعر يُعَدّ ثلث شِعْر الشاعر وهي ولا شك أفضل ما في ديوان الشاعر، منها ثماني عشرة قصيدة ومقطوعة في جهاده ضد الروم، كان شاعرنا فيها يَنْفُخُ مزاميرَ الحرب، ويدقُّ طبولها، وهذه القصائد تمثل قمة العنف في الصراع مع الروم، لذا غدت موكباً للقوة، وحشداً معنوياً في تصوير هذه القوة[١].

يقول نصرت عبد الرحمٰن[٢]: «إن سيفيات المتنبي تدور في ثلاثة أفلاك:

أولاً: إنّ العرب وعلىٰ رأسهم سيف الدولة لا يُقْهرون.

ثانياً: إنّ الرومَ مُنْهَزمون وإن جمعوا الجيوش ومهما بلغت قوتهم.

ثالثاً: إنّ سيفَ الدولة خَيْرُ أمراء العرب والمسلمين بطولة وذَوْداً عن ديار الإسلام».

لقد جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس كما يقول ابن رشيق القيرواني وسيظل شعره في الحرب ملحمة المسلمين الكبرىٰ.

لقد كان المتنبي أعظم شاعر خلّد حروب المسلمين مع البيزنطيين فبذّه بذلك كل شاعر قبله[٣]، ولقد عُدّ أشعر المسلمين[٤] في شعر الجهاد، ومنهم من عدّه شاعر الإسلام[٥]، وبطل المتنبي في شعر الجهاد ـ الحروب ـ رجل الدولة[٦] ساهر علىٰ مصالح الأمة وذائد عنها عاديات الشر، عارف مواضع الشدة ومواضع اللين.

---

(١) عبد الوهاب عزام: ذكرىٰ أبي الطيب بعد ألف عام ص٨٤.

(٢) نصرت عبد الرحمٰن: شعر الصراع مع الروم ص٣٣١.

(٣) ماريوس كنار: المتنبي والحروب البيزنطية العربية، مجلة المورد عدد ٢ ص٧٧-٨٤.

(٤) الزركلي: الأعلام جـ١ ص١١٠.

(٥) الرافعي: تاريخ آداب العرب جـ٢ ص١٨٣-١٨٤.

(٦) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص٣٢٢.

لم يكن في شعر المتنبي أعذب نظماً ولا أبعد أثراً من شعره في قصائد الجهاد التي نسجها على هفوف الصحراء، ومزجها بحمحمات الخيل صافقة سنابكها علىٰ درب الروم تسم عليها صدور البزاة بمقدوح الشرر[1].

إن قصائد المتنبي الجهادية فوق ما حوته من قيمة أدبية فإنها تجمع في أبياتها قيمةً تاريخية، وجغرافية غالية القدر وتُعَدّ وثائق في غاية الخطورة لكتابة التاريخ السياسي والتحقيق الأدبي في عصر سيف الدولة[2].

إن الأحداث الرئيسية للحرب الناشئة بين بيزنطة وسيف الدولة التي شهدها المتنبي، كان لها صداها في أشعاره، فلم يَدَعْ أيّةَ غارة تمر دون أنْ يقول فيها قصيدة أو قصيدتين، وبالاستعانة بشراح المتنبي بعد شعر المتنبي نفسه بوسعنا أن نعيد تمثيل تاريخ شبه كامل عن هذه الحروب التي اندلعت بين سنة ٣٣٧-٣٤٥هـ.

في عام ٣٣٦هـ حرر سيف الدولة «حِصْنَ برزويه» والتقىٰ بالمتنبي في أنطاكية فمدحه بقصيدة هذا مطلعها:

وفاؤكما كالرَّبْعِ أَشْجَاه طاسِمهْ بأن تُسْعَدا والدَّمْع أشْفاه سَاجِمه[3]

في عام ٣٣٩هـ قام سيف الدولة بحملة كبيرة في أرض الروم ووصل خرشنة وقال في هذه المناسبة قصيدتين الأولىٰ قبل المعركة وهي الجيمية ومطلعها:

لهَذَا اليَوْمِ بعد غدٍ أريجُ ونارٌ في العَدُوّ لها أَجيجُ[4]

والثانية العينية التي قالها بعد الهزيمة ومطلعها:

غَيْرِي بأكْثرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إنْ قاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعوا[5]

---

(١) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه ص٢٧٤.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٢٣٧.

(٥) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٢١.

وفي عام ٣٤٠هـ نهض سيف الدولة للقاء الروم ليغسل عن المسلمين وعن نفسه عار الهزيمة التي أصابتهم عام ٣٣٩هـ وكان المسلمون علموا أن جيوش العدو ضخم كثير العدد فهابوه، وتقدم الأمير إلىٰ الشاعر ليثبت قلوب المسلمين ويحرضهم علىٰ القتال فأنشد نونيته:

نَـزورُ ديـاراً مـا نُحِـبُّ لهـا مَغْنـىٰ ونَسْـألُ فيهـا غَيْـرَ سُكَّـانِهـا الإذْنـا[١]

وفي نفس عام ٣٤٠هـ قال يمدح سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء:

عـواذِلُ ذاتِ الخـالِ فـيَّ حـواسـدُ وإنّ ضجيـعَ الخَـوْدِ منّي لمـاجِـدُ[٢]

وفي أوائل عام ٣٤١هـ زحف سيف الدولة علىٰ مرعش وعاد مظفراً فأنشد المتنبي:

فـديْنـاكَ مـنْ رَبْـعٍ وإنْ زِدْتَنـا كَـرْبـاً فإنّك كُنْتَ الشّرْقَ للشّمسِ والغَرْبا[٣]

وفي عام ٣٤١هـ أرسل ملك الروم وفداً يطلب الهدنة فقال المتنبي:

لِعَيْنَيْـكِ مـا يَلقـىٰ الفُـؤادُ ومـا لَقِـي وللْحُبّ ما لم يَبْقَ منّي وما بقي[٤]

وفي عام ٣٤٢هـ زحف سيف الدولة علىٰ بلاد الروم ثم عاد مظفراً وأسر قسطنطين بن برواس فوكاس فأنشد:

ليـالـيَّ بَعْـدَ الظَّـاعِنيـنَ شُكـولُ طِـوالٌ وليـلُ العـاشِقيـنَ طـويـلُ[٥]

وفي نفس عام ٣٤٢هـ هنأ المتنبي سيف الدولة بعيد الأضحىٰ فقال:

لكـلِّ امْـرِىءٍ مِـنْ دَهْـرِهِ مـا تَعَـوَّدا وعاداتُ سَيْفِ الدَّولة الطَّعْنُ في العِدَا[٦]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٦٥.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٥٦.

(٤) المصدر نفسه جـ٢ ص٣٠٤.

(٥) المصدر نفسه جـ٣ ص٩٥.

(٦) المصدر نفسه جـ١ ص٢٨١.

وفي عام ٣٤٣هـ أنهزم الرّوم أمام سيف الدولة هزيمة نكراء فأنشدَ المتنبي:

علىٰ قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتي العزائمُ وتأتي علىٰ قدْرِ الكرامِ المكارمُ[١]

وفي نفس عام ٣٤٣هـ أقبلَ سفراء الروم، فأدخلوا علىٰ سيف الدولة في حفل رهيب، فأنشدَ الشاعر:

ظُلْمٌ لـذا اليَـوْمِ وَصْـفٌ قَبْـلَ رُؤْيَتِـهِ لا يَصْدُقُ الوَصْفُ حتىٰ يصدقَ النظرُ[٢]

وقال المتنبي أيضاً في نفس عام ٣٤٣هـ:

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرّوم هَـذي الرسـائِلُ يَـرُدُّ عـن نفسِـهِ ويُشـاغِـلُ[٣]

وفي محرم عام ٣٤٤هـ أقبل سفراء ملك الروم يطلبون الهدنة فقال:

أراع كـذا كُـلَّ الملـوكِ هُمـامُ وَسَـحَّ لـه رُسُـل الملـوكِ غَمـامُ[٤]

وفي عام ٣٤٤هـ نقض الروم الهدنة ولكنّ سيف الدولة نهض إليهم فلمّا علموا بمقدمه جَلَوْا وعادوا أدراجهم فأنشد أبو الطيب:

ذي المعـالـي فَلْيَعْلُـوَنْ مَـنْ تعـالـىٰ هكـذا هكـذا وإلاّ فـلا لا[٥]

وفي محرم عام ٣٤٥هـ علم سيف الدولة أن الروم قد هموا بالغارة علىٰ آمد فنهض إليهم فقال المتنبي هذه القصيدة بهذه المناسبة.

الـرَّأيُ قَبْـلَ شَجَـاعَـةِ الشُّجعـانِ هـو أولٌ وهـي المحَـلُّ الثَّـانـي[٦]

وفي سنة ٣٤٥هـ قال قصيدته الميمية وهي آخر قصيدة قالها بحضرة سيف الدولة:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٧٨.
(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٩٨.
(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص١١٢.
(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩٣.
(٥) المصدر نفسه جـ٣ ص١٣٤.
(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٤.

عُقْبىٰ اليمينِ علىٰ عُقْبىٰ الوغىٰ نَدمُ ماذا يزيدُكَ في إقدامِكَ القَسَمُ[1]

والآن وبعد أن ذكرنا القصائد الجهادية التي قالها المتنبي في سيف الدولة لا بدّ لنا من العودة إلىٰ التفصيل في هذه الجهاديات أو ما تسمىٰ بـ «السيفيات» لنرىٰ قيمة هذا الشعر ومقدار روعته ومدىٰ مساهمته في المعارك.

معركة عام ٣٣٦هـ[2]:

كان الروم قد مَلَكوا حصن برزويه وهو أحد الحصون الحربية الهامّة فانطلق سيف الدولة سنة ٣٣٦هـ[3] إلىٰ الحصن وأطال حصاره فانتهز القائد الروماني الفرصة وحاصر الحدث، ونجح كل من القائدين في مهمته، حيث استردّ سيف الدولة حصن برزويه، وفتح لاون بن برداس الحدث وخرّب سورها، فلما عاد سيف الدولة إلىٰ حلب مرّ بأنطاكية وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ، وكان المتنبي موجوداً هناك عند الأمير أبي العشائر فأنشده المتنبي قصيدته الجميلة التي مطلعها:

وفاؤكُما كالرّبْعِ أَشْجَاهُ طاسِمه بأنْ تُسْعدا والدَّمْع أشفاه ساجمه[4]

بعد ذلك يسجل هذه الصورة حيث يراها في مظلة ذات عمودين نصبت لسيف الدولة بعد انتصاره في حصن برزويه ويستغلها ليعظم الأمير:

وأحْسَنُ مِنْ ماءِ الشّبيبَةِ كُلِّهِ حَيَا بارقٍ في فازَةٍ أنا شائِمُه[5]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٥.

(٢) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٤.

(٣) سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص٨٤.

(٤) الشجو: الهم والحزن، شجاه: أحزنه، مادة (شجو) مختار الصحاح ص٣٣٠.
شجو: الشين والجيم والحرف المعتل يدل علىٰ شدة وصعوبة، مادة (شجو) معجم مقاييس اللغة.
الشجو: الهم والحزن والشجا ما اعترض في حلق، مادة (شجو) لسان العرب ص٢٧٥.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٢٥.

(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٣٤.

ثم ينتقل الشاعر ليطعنَ بالرّوم وليبينَ أنّ الحربَ دينيةٌ بين مؤمنين وكافرين استمع إليه كيف يصور الكفّار الروم ساجدين لسيفِ الدولة، وقد خضعوا له يقبّلون بساطه بأفواههم، عندما يقعون له سجداً لأنهم لا يقدرون علىٰ تقبيل كُمّه ويده لارتفاعه وعلو مكانه لأنه أعظم منهم شأناً.

وفي صورةِ الروميِّ ذي التّاج ذِلَّةٌ ... لأبلَجَ لا تيجانَ إلاّ عمائِمُهْ
يُقَبِّلُ أفواهُ الملوكِ بساطَهُ ... ويَكْبُرُ عنها كُمُّهُ وبراجمُهْ[1]
قياماً لِمَنْ يشفى من الداءِ كيُّهُ ... ومَنْ بَيْنَ أُذْنى كُلِّ قَرْمٍ مواسمه[2]

ثم ينتقل الشاعر إلىٰ وصف عسكر سيف الدولة فيقول:

له عَسْكرا خَيْلٍ وطَيْرٍ إذا رمىٰ ... بها عسكراً لم يبقَ إلاّ جَماجِمُهْ[3]

أي إنّ له عسكرين خيله والطير التي آعتادت أنْ تصحبه لكثرة وقائعه حتّىٰ تأكل من لحوم القتلىٰ، لأنّ عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم.

ويستمر في تصوير قوة جيش الأمير سيف الدولة وبلائه في المعارك فيقول: كفاه أنَّ ما يوضعَ علىٰ ظهر الخيل ما هو إلا ثياب كل طاغٍ من ملوك الروم.

أجلّتُها من كُلِّ طاغٍ ثيابُهُ ... ومَوْطِئُها من كلِّ باغٍ ملاغمُهْ[4]

---

(١) البراجم: الأصابع وهي رؤوس السلاميات من ظاهر الكف.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٣٥-٣٣٦.
(٢) القرم: السيد.
المواسم: جمع ميسم وهو الذي يوسم به.
(٣) الجماجم: جمع جمجمة وهي عظم الرأس.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٣٦.
(٤) الأجلة: جمع جُلّ، ما يجعل علىٰ ظهر الدابة.
الملاغم: ما حول الفم، مفردها ملغم.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٣٧.

يستمر الشاعر في تسجيل هذا العراك حيث كان الأمير سيف الدولة يغير علىٰ الروم عند الصبح وهذا من عادات العرب في غاراتها ليغافلوا القوم لذلك فقد ملّ الصبح وضجر مما تغير فيه، كما أن رماح الأعداء ملّت من دقّ سيف الدولة أعاليها، إن سيف الدولة جعل الطير التي تطير فوق عسكره سحاباً، وجعل جيشه سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة، وصبّ الدماء، وصوت الأبطال.

فقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مما تُغيرُه ... ومَلَّ سَوادُ اللّيْلِ مِمَّا تُزاحِمُهْ
ومَلَّ القَنا ممّا تَدُقُّ صدورَهُ ... ومَلَّ حديدُ الهِند مما تُلاطِمُهْ[1]
سَحابٌ منَ العِقْبانِ يَزْحَفُ تحتَها ... سحابٌ إذا استسْقتْ سقتها صوارِمُهْ[2]

ولا ينسىٰ المتنبي أن يؤكد أن عمل سيف الدولة هو رسالة إلٰهية موكل إليه القيام بها، ولا يخفىٰ ما في ذلك من إشارة الىٰ واقع تاريخي، واقع الخليفة من حماية الدين وواقع أمير حلب من أنه سيف يتقلده الخلفاء ويضرب الله به أعداءه.

علىٰ عاتِقِ المُلْكِ الأغرّ نِجادُهُ ... وفي يَدِ جبّارِ السَّمواتِ قائِمُهْ[3]

معارك عام ٣٣٩هـ[4]:

نظم الشاعر في هذا العام قصيدتين الأولىٰ في «السنبوس» قبل أن يدخل غمار المعركة وذلك من أجل تحريضِ الجَيْشِ علىٰ القتال، وتثبيت المسلمين وحثّهم علىٰ الهجوم وإنذار النصارىٰ بما سيصب عليهم من نار الحرب.

---

(١) القنا: الرماح.

(٢) العقبان: جمع عقاب، وهو طائر كبير من الجوارح.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٣٧-٣٣٨.

(٣) نجاده: النجاد هو ما وقع علىٰ العاتق من حمائل السيف، النجاد: بالكسر حمائل السيف.
مختار الصحاح ص٦١٦.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٤.

(٤) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٠، سامي الكيالي: سيف الدولة ص٥٥.

تقدم سيف الدولة في الأرض البيزنطية فاتِحاً مُكْتَسِحاً، وقد أخذته نَشْوَة النّصر، فظلّ يَضْرِبُ في الأرض والحصون تتساقط أمامه وتحت سنابك خيله حصناً بعد حصن، وأسر كثيراً من جنود الروم، وفتح «سَمِنْدو» و«خَرْشَنة» وظل يتقدم حتىٰ وصل إلىٰ «صارخَه» وهي غير بعيدة عن العاصمة «القسطنطينية» ففزع الروم من هذا النصر الذي احتشد له سيف الدولة واشترك فيه كثير من أهل الثغور خاصة فرسان طرسوس فانهزم الجيش البيزنطي أقبح هزيمة.

انْتَشىٰ المجاهدون بالنَّصر، وٱستهانوا بالجيش البيزنطي وعلىٰ رأسه «الدمستق» وبدا ذلك جلياً في قصيدته التي مطلعها:

لهـذا اليـومِ بَعْـدَ غَـدٍ أريـجُ ونـارٌ فـي العـدوِّ لهـا أجيـجُ[1]

ومن مطلع القصيدة يطل علينا المتنبي المؤرخ ليعلن إشارة السير إلىٰ المعركة وليحددها وليتنبأ بظفر الأمير المجاهد فيقول: سيكون لهذا اليوم الذي أنت سائر فيه لحرب الروم نشر طيب، وسيكون له نار حرب تكوي الأعداء:

تَبيـتُ بـهِ الحَـواضِـنُ آمِنـاتٌ وتَسْلَـمُ فـي مَسَـالِكِهـا الحَجِيـجُ[2]

في هذا البيت رد لاعتبار الحجيج الذين كانوا مهددين بالقتل وطرقهم غير مؤمنة بسبب هجمات الأعداء عليهم.

---

(١) أريج: قال ابن سيده: الأريج: الريح الطيبة وجمعها أرائج ومثل توهج ريح الطيب. لسان العرب جـ١ ص٤٤.

الرازي: مختار الصحاح ص١٣٠. أريج: توهج ريح الطيب.

أجيج: صوت النار. قال الشاعر:

أصـرف وجهـي عـن أجيـج التنـور كـأن فيـه صـوت فيـل متحـور

لسان العرب مادة (أجج) ص٢٣ جـ١.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٣٧.

(٢) الحواضن: العفائف من النساء.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٣٧.

بعد ذلك يقرر الشاعر أن الصراع بين المسلمين والروم هو حرب دينية يكثر فيها الدّعاء ويتطاحَنُ أبناء الديانتين والفوز فيها للمسلمين أصحاب عقيدة التوحيد اسمعه يقول:

تُحاوِلُ نفْسَ مَلْكِ الرّوم فيها ... فتَفْديه رعيَّتُهُ العُلوجُ[1]
أبا الغَمَراتِ توعِدُنا النَّصارىٰ ... ونَحْنُ نُجُومُها وهِيَ البُرُوج
وفينا السّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدوقٌ ... إذا لاقىٰ وغارَتْهُ لَجُوجُ
نُعَوّذُهُ منَ الأعيانِ بَأْساً ... ويَكْثُرُ بالدّعاء له الضّجيجُ[2]

يستمر الشاعر في التحدي فيقول لو أوقف الروم زحفنا في هذا المكان ففيما أحرزناه من النصر كفاية، وإن أحجم الإمبراطور عن حربنا فإننا واصلون إلىٰ الخليج أي البسفور ويعني بذلك القسطنطينية.

رَضِينا والدُّمُسْتُق غيرُ راضٍ ... بما حَكَمَ القَواضِبُ والوَشيجُ[3]
فإنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنا سَمَنْدو ... وإنْ يُحجِمْ فمَوْعِدُهُ الخليجُ[4]

إنّ هذه القصيدة كانت تحريضاً للجيش الإسلامي علىٰ الجهاد لكي يقاتلوا أعداءَهم بكل قوة، وتثبيتاً لقلوب المسلمين في المعركة وحثاً لهم علىٰ الهجوم ليحرروا البلاد من الظلم والاستعباد، كما أنّها إنذارٌ للنصارىٰ بما سيصب عليهم من نار الحرب.

---

(١) العلوج: جمع علج الواحد من كفار العجم مختار الصحاح ص٤٤٩. الرجل من كفار العجم والأنثىٰ علجه ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار، وفي الحديث: «فأتني بأربعة اعلاج من العدو». لسان العرب جـ١ ص٨٥٨.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٣٨-٢٣٩.

(٣) القواضب: جمع قاضب وهو السيف القاطع. القضب: القطع. مادة (قضب) مختار الصحاح ص٥٣٩. القضب: من السيوف اللطيف قال ابن الأثير: السيف اللطيف الدقيق. لسان العرب مادة (قضب) جـ٣ ص١٠٨.

الوشيج: مادة وشج شحر الرماح لسان العرب جـ٣ ص٩٢٨.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٣٩-٢٤٠.

لقد كان الشاعر في هذه القصيدة عظيم الأمل، واثقاً كل الثقة بالفوز ثم كانت مسيرة المسلمين بعد هذه القصيدة محققة لذلك الأمل، فقد انتصر المسلمون في غزوهم وهزموا عدوهم في كل موطن، وكان الأمير يريد أنْ يمضي في الغزو ولكن بعض الجند سئموا من الحرب وأشفقوا في الإمعان في الغزو، فطلبوا الرجوع إلىٰ أوطانهم، وألحّوا في ذلك، فاستمع لهم الأمير، فلما رجعوا مثقلين بالغنائم والأسرىٰ تبعهم العدو منقضاً عليهم أثناء قفولهم، آخذاً عليهم الطرق حتىٰ كانت الهزيمة، وقد أثارت هذه الهزيمة نفسية المتنبي فقال القصيدة الثانية.

القصيدة الثانية عام ٣٣٩هـ:

سبق أنْ قُلنا بأنَّ سيف الدولة تقدم في الأرض البيزنطية، وأحرزَ نَصْراً مؤزراً، وغنم أسْلاباً كثيرة، وغرّ سيف الدولة مثل هذا الظفر، فآبوا مترنحين بنشوة الظفر، ومعهم حوالي مائةٍ وعشرين بطريقاً، فأخذهم الروم علىٰ غرّة، حيث لم يعلم سيف الدولة أنّ الروم قد ارتدّوا بقيادة «قسطنطين برداس» فسدّوا عليهم الطرق، وآخذوا عليهم بعض مخارم الجبال، فصبوا عليهم الصخور، وأصلوهم غارة شعواء، وأمعنوا فيهم قتلاً، حتىٰ تشتت جيش سيف الدولة، وفرّ جمعه وتقطع جنده، فجعل سيف الدولة يستفزهم فلا ينفرون، فلم يجد بداً من أن يقتل أسراه خلاصاً من عبثهم وغدرهم.

وقد حاول سيف الدولة أن يَنْتَحِرَ خشية الوقوع في أيدي الروم، فقفز بفرسه صَوْب وادي سحيق حتىٰ يتفادىٰ كميناً للأعداء، فوقع الفرس قائماً ونجا الأمير.

لقد كانت هذه المعركة عجيبة الشأن حيث إنها جمعت بين طرفي النقيضين النصر المؤزر والهزيمة التي كادت تذهب بالأمير[1].

أنشد المتنبي قصيدته مصوّراً للانفعالات التي صادفت نفسَه الحزينة ونفس الأمير الكليمة، لذلك نراه لم يبدأ القصيدة بالغزل كعادته، وإنما بدأها بذكر من

---

(١) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٢.

يخدعون بالرجال ويظنون بهم بأساً وما هؤلاء الرجال إلا أدعياء شجاعة جبناء عند القتال، والآن دعنا نعيش مع القصيدة.

غَيري بأكْثرِ هذا النّاسِ ينْخَدِعُ ... إن قاتلوا جَبُنُوا أو حدَّثوا شجعوا
أهلُ الحفيظَةِ إلا أنْ تُجَرِّبَهُمْ ... وفي التَّجارِبِ بعد الغَيّ ما يَزَعُ
وما الحياةُ ونفسي بعد ما عَلِمَتْ ... إنّ الحياةَ كما لا تَشْتَهي طَبَعُ
ليسَ الجمالُ لِوَجْهٍ صحَّ مارِنُهُ[1] ... أنْفُ العزيز بقَطْعِ العِزِّ يُجْتَدَعُ
أأطرحُ المَجْدَ عن كِتْفي وأطلُبُهُ ... وأترُكُ الغَيْثَ في غِمْدي وأنْتَجِعُ[2]
والمشرفيَّةُ لا زالتْ مُشَرَّفَةً ... دواءُ كُلِّ كَريمٍ أوْ هيَ الوَجَعُ[3]

في الأبيات السابقة يصور الشاعر أدب الحرب وشروط الفروسية فليست الفروسية جمال وجه، وإنّما هي بأسُ وكفاح.

إن الفارس عند أبي الطيب هو الذي يثبتُ في حومة الوغىٰ علىٰ ظهر فرسه ويوقرها إذا خَفّت وأرادَتْ الفرار وكان دمه هو الذي ينسكب من أعطافها فيقول في شرط هذا الفارس المجاهد.

وفارسُ الخَيْلِ من خفَّتْ فوقَّرَها ... في الدَّرْبِ والدَّمُ في أعْطَافِها دُفَعُ[4]

بعد هذه الأبيات التي بدأت حزينة ثم انتهت بحَثّ المجاهدين ينتقل إلىٰ وصف المجاهدين، ويذكر مسرىٰ الأمير الذي ينقض علىٰ بلاد الأعداء كالصاعقة، ثم يستطرد الشاعر واصفاً حال الروم وقد نزلت عليه جيوش سيف

---

(١) المارن: مقدم الأنف وهو ما لان منه. مختار الصحاح ص٦٢٢ مادة (مرن).
(٢) الانتجاع: طلب الكلأ.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢١-٢٢٢.
(٤) فوقرها: ثبت مادة (وقر)، مختار الصحاح ص٧٣٢. قال تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.
الدرب: الطريق الذي يسلك. معجم البلدان جـ٢ ص٤٤٧.
الأعطاف: جمع عطف وهو الجانب. مادة (عطف) ص٤٤٠ مختار الصحاح.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢٣.

الدولة فدارت رحىٰ الحرب وتقارعت السيوف، واشتبكت القنا، فأصبحوا من كثرة القتلىٰ طعاماً للطيور التي لا تميز لكثرة الدماء بين القتيل والحي فأذهل ذلك المنظر عين الدمستق حتىٰ كاد يكذب نفسه:

حتىٰ أقامَ علىٰ أرْباضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشْقىٰ بها الرّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ
للسَّبْيِ ما نَكَحُوا، والقتلِ ما وَلَدُوا ... والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنّارِ ما زرعُوا
مُخْلىً لهُ المَرْجُ منصوباً بصارِخَةٍ ... لهُ المنابِرُ مَشْهوداً بها الجُمَعُ[1]
يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فيهم طولُ أكْلِهِمِ ... حتّى تكادَ علىٰ أحيائهمْ تقَعُ
ولو رآهُ حواريّوهُمْ لبَنَوْا ... علىٰ محَبَّتِهِ الشَّرْعَ الذي شَرَعُوا
ذمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وقَدْ طَلَعَتْ ... سودُ الغَمام فظَنُّوا أنَّها قَزَعُ[2]
فيها الكماةُ التي مفْطومُها رَجُلٌ ... علىٰ الجيادِ التي حَوْلِيُّها جَذَعُ[3]

ويبلغ الشاعر ذروة العظمة في وصف الروم المنهزمين أمام المجاهدين المسلمين وكيف أنّ قائدهم قد هرب، إلا أن الكثرة من جنوده وقعوا صرعىٰ، وكلهم أكرم منه وأشجع، لأنهم صمدوا دونه، ولم يلوذوا بالفرار، ومع ذلك فإنّ من كُتِبَ لهم النجاة عاشوا فزعين في حالة الأمن، خائفين مذعورين في أيام السّلام، لأنّ المنايا تطاردهم وتقضّ مضاجعهم:

إذا دعا العِلْجُ عِلْجاً حالَ بينَهُما ... أظْمىٰ[4] تفارِقُ منه أخْتَها الضَّلَعُ
أجلُّ منْ وَلَدِ الفُقّاسِ[5] مُنْكَتِفُ ... إذا فاتهُنّ وأمضىٰ منهُ مُنْصَرِعُ

---

(١) المرج: موضع بلاد الروم.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٣٢٤-٣٢٥.
(٢) القزع: المتفرق من السحاب.
(٣) الجذع: الذي أتىٰ عليه حول وجمعه جذعان وجذاع.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢٥-٢٢٦.
(٤) أظمىٰ: الرمح.
(٥) الفقاس: الدمستق.

وما نَجا مِنْ شِفارِ البيضِ[1] مُنْفَلِتٌ ... نجـا ومنهُـنَّ فـي أحشـائِـهِ فَـزَعُ
يبـاشـر الأمْـنَ دَهْـراً وهـو مختبَـلٌ ... ويَشْرَبُ الخَمْرَ حوْلاً وهو مُمْتَقَعُ[2]
كَـمْ مِـنْ حُشَـاشـةِ بِطْـريـقٍ تَضَمَّنهـا ... للبـاتـراتِ أميـنٌ مـا لَـهُ وَرَعُ[3]
يقـاتِـلُ الخَطْـوَ عنـهُ حيـنَ يطلُبُـهُ ... ويطـرُدُ النَّـوْمَ عنـه حيـن يضْطَجِـعُ
تغـدو المنـايـا فـلا تنْفـكُّ واقفَـةً ... حتـىٰ يقـولَ لهـا عُـودي فتَنْـدَفِـعُ[4]

بعد ذلك يتعرّض الشاعر لأمرٍ دقيق غايةِ الدقة وهو هزيمة المسلمين، فيطرق الهزيمة ببراعة تامة، وتصرف حسن، حتىٰ يكاد يجعل منه نصراً، لقد جعل أولئك الأسرىٰ من جيش المسلمين الذين وقعوا في قبضة كفار الروم عسكراً خونة متخاذلين جازاهم الله بما صنعوا من خذل الأمير حين استنفرّهم، وقد وصف هؤلاء الجنود لتهاونهم علىٰ الحرب بأنّهم كالأموات فليس يأكلهم إلا الضباع، وقد جاء أسر هؤلاء تنقية لجيش المسلمين إذ تخلّص منهم سيف الدولة، وكانوا جنوداً فيهم الفسل الدنيء، وفيهم الرعديد، حتىٰ إذا عاد جيش المسلمين إلىٰ حلب عاد وهو خالص من أولئك الجنود المأسورين:

قـل للـدُّمُسْتُـقِ إنَّ المسلميـنَ لَكُـم ... خانوا الأميرَ فجازاهُمْ بما صَنعُوا
وَجَـدْتُمـوهُـمْ نِيَـامـاً فـي دمـائِكُـمُ ... كـأنَّ قتـلاكُـمُ إيـاهُـمُ فَجَعـوا
ضَعْفـي تعـفُّ الأيـادي عـنْ مِثـالِهِـم ... من الأعادي وإنْ هَمُّوا بهمْ نَزَعوا[5]
لا تَحْسَبُوا مَنْ أسرْتُم كان ذا رَمَقٍ ... فليـس يـأكُـلُ إلا المَيِّـتَ الضَّبُـعُ

---

(١) شفار البيض: حد السيوف.
(٢) مختبل: الذاهل المضطرب.
ممتقع: متغير اللون.
(٣) الحشاشة: النفس.
البطريق: الفارس من الروم.
(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢٨-٢٢٩.
(٥) نزع الشيء: رغب عنه وأعرض. مادة (نزع) مختار الصحاح ص٦٥٤.

هلاّ علىٰ عَقَبِ الوادي وقَدْ صَعِدَتْ ... أُسْدٌ تَمُرُّ فُرادىٰ ليْس تَجْتَمِعُ
تَشُقّكُمْ بقِنَاها كُلُّ سَلْهَبَةٍ ... والضَّرْبُ يأخذُ منكُمْ فوقَ ما يَدَعُ
وإنما عَرّضَ اللهُ الجنودَ بِكُمْ ... لكيْ يكونوا بلا فَسْلٍ[1] إذا رَجَعوا
فكُلُّ غزوٍ إليكُمْ بَعْدَ ذا فَلَهُ ... وكُلُّ غازٍ لسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ[2]

وليس من المبالغة في شيء إذا قلت إنّ هذه الأبيات من القصيدة لترتفع إلىٰ مُسْتوىٰ الإعجاز، فتعليل المتنبي للهزيمة تعليلٌ رائع، وتحويل الهزيمة إلىٰ تنقيةِ الجيش من الجُبناء الأنذال العاجزين، وتجربة ودرسٌ للمرات القادمة بالطريقة التي صاغها بها المتنبي لفظاً ومعنىً وصوغاً وشعراً، ترفع القصيدة إلىٰ مستوىٰ فريد في هذا اللون من شعر الجهاد والحرب، والذي يعتبر المتنبي بحق مبتكره وصاحبه.

إن المتنبي وضع لشعر الحرب أسساً وطيدةً، فصوّر المعارك كاملة المناظر بما لم يصوره شاعر عربي من قبل، حتىٰ إنّ النقّاد العرب حينما تحدثوا عن أبرز نواحي عبقريته قالوا: «إنّه سريعُ الهجومِ علىٰ المعاني ونعْتِ الخيل والحرب من خصائصه»[3].

أما بلاشير من المستشرقين الفرنجة فإنه يقول: «إنّ قصائد المتنبي ترتفع إلىٰ جلال الملاحم وهو جلال لا مثيل له في الشعر العربي من قبل»[4].

بعد ذلك يلتفت الشاعر إلىٰ بطله المجاهد الكبير سيف الدولة بعد أنْ حوّل نصر الدمستق إلىٰ هزيمة بهذه التعليلات البارعة، والمتنبي يلتفت إلىٰ سيف الدولة في هذا المقام ليصبره ويذكر له أنّ تلك الهزيمة لا تشينه، لأنه برغم ذلك كلّه فارس زمانه الذي يعتلي مكانه فوق محلّ الشمس، والدهر يسعىٰ للأمير بالقدر والسيف مؤتمر بأمره ينتظر يوم الانتقام، يوم الفصل من الروم.

---

(١) الفسل من الرجال: الرذل والدنيء العاجز. مادة (فسل) من مختار الصحاح ص٥٠٤.
(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٢٩-٢٣١.
(٣) مصطفىٰ الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص٣٩٨.
(٤) بلاشير: المتنبي.

يمشي الكرامُ علىٰ آثارِ غيرِهِم ... وأنتَ تخلُقُ ما تأتي وتَبْتَدِعُ
وهَلْ يشينُكَ وقتٌ أنتَ فارِسُهُ ... وكان غَيْرَكَ فيه العاجزُ الضَّرَعُ
من كانَ فوقَ محل الشَّمْسِ موضِعُه ... فليسَ يرفَعُهُ شَيءٌ ولا يَضَعُ
الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ والسيفُ مُنْتَظِرٌ ... وأرضُهُم لكَ مُصطافٌ ومُرْتَبَعُ
إنَّ السلاحَ جميعُ الناسِ تحملُهُ ... وليس كُلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ[1]

معارك عام ٣٤٠هـ:

قرّر سيف الدولة أنْ يَرُدَّ الصاع صاعين في مكان يعرف بـ «السنبوس» ولما بلغه أن جيش الروم مزودٌ بأربعين ألفاً من الرجال، تهيبهم جيش المسلمين، فأنشد المتنبي هذه القصيدة أمام الجند، مُحَرِّضاً إياهم علىٰ الجهاد في سبيل الله فرد إلىٰ جيش المسلمين الثقة بأنفسهم، وأثار فيهم الحماس وحب التضحية من أجل إعلاء كلمة الله، مما كان له الأثر الفاعل في اندفاعهم نحو جيش الكفر، ومكنهم من الإيقاع في جيش العدو والفوز بالظفر والنصر.

لقد اكتسح سيف الدولة العدو أمامه اكتساحاً، وأمعن في الغزو، وكان يريد أن يصل إلىٰ خرشنة، لكن الشتاء أقبل وسقط الثلج، فلم يستطع الأمير أن يتقدم، فعاد بجيشه مظفراً، ولم يستطع الروم أن يضايقوه، ولا أن يأخذوا عليه الطريق، وقد قال في هذه المناسبة القصيدة الجهادية التالية:

نزورُ دِياراً ما نُحِبُّ لها مَغْنىٰ ... ونَسْأَلُ فيها غَيْرَ سُكَّانِها الإذْنا[2]
تقودُ إليْها الآخذاتِ لنا المَدىٰ ... عليها الكُماةُ المحسِنونَ بها الظَّنَّا[3]
ونُصْفي الذي يُكْنىٰ أبا الحسنِ الهوىٰ ... ونُرْضي الذي يُسمىٰ الإلٰه ولا يُكْنىٰ

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٢٣١-٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٥-١٦٩.

(٣) المدى: البعد.

الكماة: الكمي: الشجاع المتكمي بسلاحه أي المتغطي المتستر بالدرع والجمع كماة. مختار الصحاح مادة (كمي) ص٥٧٩. الكمي: ملابس السلاح وقيل هو الشجاع المتقدم الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن، مادة (كمي) لسان العرب المعكوس ص٢٩٩.

في البيت الثالث من هذه القصيدة تلمح أن للمعركة عند المتنبي وجهين: وجهاً خالص المودة لسيف الدولة، ووجهاً آخر هو إرضاء الله في مجاهدة الكفار الروم، ثم يعلن المتنبي حقيقة في القتال عرف بها سيف الدولة في مجال تذكيره للروم وتخويفه لهم، حيث يقول لا تغتر الروم بتركنا أرضهم خلفنا، فإنَّ عَوْدَتنا لتلك الأرض أسرع من رجوعنا عنها، وإذا صار الموت صريحاً في الحرب، بارزاً ليس دونه قناع، توسلنا إلىٰ ما نطلب ونريد من الحوائج، بطعن الأعداء بالرماح وضربهم بالسيوف، وإننا نتقدم إلىٰ الموت ونقصده، كما يقصد من يحب لقاؤه.

وقـدْ عَلِـمَ الـرّومُ الشَّقِيّـونَ أنَّنـا ... إذا مـا تَـرَكنـا أرضَهُـمُ خلْفنـا عُـدْنـا
وإنّا إذا ما الموْتُ صرَّحَ[1] في الوَغىٰ ... لَبِسْنا إلىٰ حاجاتنا الضَّرْبَ والطَّعْنا

إن العدو عندما رأىٰ جيش المسلمين متقدماً نحوهم حثّوا خيولهم علىٰ الإقبال علينا، فلما اقتربنا وعرفونا حثوا خيولهم علىٰ الهرب منا.

وخَيْـلٍ حَشَـوْنـاهـا الأسِنَّـةَ بعـدَمـا ... تَكَدَّسْنَ مِنْ هَنّا علينا ومَن هَنَّا[2]
ضُـرِبْـنَ إلينـا بـالسِّيـاطِ جهـالـةً ... فلمَّـا تعـارفْنـا ضُـرِبْـنَ بهـا عَنَّـا

يقول المتنبي لسيف الدولة: تجاوز القرىٰ إلىٰ الصحراء، وحارب بنا جيش الروم وادنُ بنا إليهم دنو الملابس، تظفر يدك بما تشتهي، من ضرب وطعن وسبي، فنحن أناس قد تقادم عهدنا بسفك دماء الروم، وقد برد ما سفكناه، وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها، أي لا ننفك من سفك دمائهم، وإذا برد دمهم اتبعناه دماً طرياً حاراً.

تَعَدَّ القُرىٰ والمُسْ بنا الجيشَ لَمْسَةً ... نُبـارِ إلـىٰ مـا تَشْتهـي يَـدُكَ اليُمنـىٰ
فَقَـدْ بَـرَدَتْ فَـوْقَ اللُّقـانِ دمـاؤُهـمْ ... ونَحْـنُ أنـاسٌ نُتْبِـعُ البـارِدَ السُّخْنـا

---

(١) صرّح: برز وظهر وكشف مادة (صرح) مختار الصحاح ص٣٦٠.
(٢) التكدس: التجمع، تكدسن: اجتمعن وركب بعضها بعضاً من كثرتها.
هنّا: ههنا.

يحث الشاعر جيش المسلمين علىٰ الجهاد، عندما لمس ترددا في أوساط الجيش لخوض المعركة فانطلق يبعث الهمة ويقوىٰ العزم.

فنَحْـنُ الأُلـىٰ لا نَـأْتَلـي لَـكَ نُصْـرةً وأنْـتَ الـذي لـو أنَّـهُ وَحْـدَهُ أغْنـىٰ
يقيكَ الرَّدىٰ من يَبْتَغي عندكَ العُلا ومن قال لا أرْضىٰ مِنَ العَيْش بالأدنىٰ

ثم يختتم الشاعر قصيدته بهذا البيت الذي يؤكد ما استنتجناه من تردد:

ومـا الخَـوْفُ إلا مـا تَخـوّفَـهُ الفتَـىٰ ولا الأمْـنُ إلاّ مـا رآه الفَتـىٰ أمْنـاً

معركة عام ٣٤٠هـ:

قال المتنبي هذه السيفية يمدح سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي أعاق الأمير عن غزو خرشنة.

عـواذِلُ ذات الخـال فـيَّ حـواسـدُ وإنَّ ضجيـجَ الخَـوْدِ مِنّـي لمـاجِـدُ[1]

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل بالنساء الجميلات، ثم تكلم عن نفسه وما بها من آلام وأحزان، ثم انتقل يتحدث عن فرسه، وكيف عرفت منزل الحبيب، ثم يقول إنّ مطلبه عظيم، وإذا عظم المطلوب قل من يساعده، ثم يتحدث عن كيفية اقتحامه المصاعب. بعد هذا كله ينتقل ليفتخر بأميره البطل العربي والمجاهد الكبير الذي يمثل معسكر الجهاد في سبيل الله لرفع راية التوحيد، ثم يصف الكفر والكفار فيقول إنَّ أشقىٰ بلاد الله هي التي أهلُها الروم، لذلك فإنّ غارات سيف الدولة علىٰ بلاد الروم متلاحقة، وهدف تلك الغارات رفع راية التوحيد وإذلال راية الشرك، لقد شاع الخوف في بلاد الروم حتىٰ بات الذي في أقصىٰ بلادهم لا ينام خوفاً، إنّ هذه البلاد صارت ملطخة بدماء الكفار فكأنها مساجد مخلّقة، وهم كالسّجّد فيها لانكبابهم علىٰ وجوههم، وأهلها مقتولون مصروعون فكأنها مساجد

---

(١) الخود: المرأة الحسنة الخلق الناعمة، جمع خود: خود.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٦٨.

طليت بالخلوق، وكأنّهم سجّد وإنْ لم يكونوا يسجدون حقيقة، لقد جعل خيلهم كالجبال لهم يتحصنون بها، وجعل تنكيسهم عنها إنزاله لهم من الجبال للقتل والأسر، وجعل مَكايده فيهم كالرماح تقوم مقام الرماح التي تطعنهم بها.

وأشقىٰ بلادِ اللهِ ما الرّومُ أَهْلُها ... بهذا وما فيها لِمَجْدِكَ جاحِدُ
شَنَنْتَ بها الغاراتِ حتىٰ تَرَكْتَها ... وجَفْنُ الذي خلْفَ الفَرَنْجَةِ ساهِدُ[1]
مخضّبةٌ والقومُ صرعىٰ كأنّها ... وإنْ لم يكونوا ساجدينَ مساجدُ
تُنَكِّسُهُمْ والسّابِقَاتُ جبالُهُمْ ... وتطْعَنُ فيهم والرّماحُ المكايِدُ[2]

إن سيف الدولة يضرب الروم ضرباً يقطع لحمهم، فيجعله هبراً، لقد هرب الروم من الأمير، وحفروا مطامير تحت الأرض ليسكنوها كما تسكن الحيات في التراب.

إنّ جيوش الأمير تحيط بالجبال العالية إحاطة القلائد بالأعناق، وقد أهلكت جنوده جيش الروم حين غارت عليه، وأخذت قسماً من جيش الروم أسرىٰ حتىٰ ابيّض آمد[3] من كثرة الغلمان والجواري.

إن جيشك أيها المجاهد حاصر حصني الصفصاف والسابور، وهما حصنان منيعان للروم، وقد ألحقت الثاني في التخريب بالأول حتىٰ سقط كسقوطه، وذاق الموت أهل هذين الحصنين، لأنك حرقتهما بالنّار.

وتَضْرِبُهُمْ هَبْراً وقَدْ سَكَنُوا الكُدَىٰ ... كما سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرابِ الأساوِدُ[4]
وتُضْحي الحُصُونُ المُشْمَخِرّاتُ في الذُّرىٰ ... وخَيْلُكَ في أعناقِهِنَّ قلائِدُ

---

(١) الفرنجة: قرية بأقصىٰ بلاد الروم.
ساهد: ساهر، مادة (سهد) مختار الصحاح ص٣١٨.
(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٧٣.
(٣) آمد: بلد في أول بلاد الروم.
(٤) الكدىٰ: جمع كدية وهي الصلبة من الأرض.
الأساود: ضرب من الحيات.

عَصَفْنَ بهِمْ يومَ اللُّقانِ وسُقْنَهُمْ بِهِنْزيطَ حتّىٰ ابيضَّ بالسَّبْيِ آمِدُ[1]
وأَلْحَقْنَ بالصَّفْصافِ سابورَ فانْهَوىٰ وذاقَ الردَّىٰ أهلاهُما والجَلامِدُ[2]

إنّ غزوات سيف الدولة علىٰ بلاد الروم لا تنقطع إلا عند جمود نهر «سيحان» هذا النهر الذي يجمد ماؤه في الشتاء، فلا تفتر سيوفه عن رقاب الروم إلا وقت الشتاء، وقت جمود النهر المذكور، لم يُبْقِ القتل من الروم إلاّ كل امرأة حماها من السيوف جمالها، وسُمرة شفتيها وارتفاع نهديها.

فتىً يَشْتهي طولَ البلادِ ووقْتُهُ تَضيقُ به أوقاتُهُ والمَقاصِدُ
أخو غَزواتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُهُ رِقابُهُمُ إلا وسَيْحانَ جامِدُ
فَلَمْ يَبْقَ إلا مَنْ حَماها مِنَ الظُّبا لمى شَفَتَيْها والثُّدِيُّ النَّواهِدُ[3]

إنّ سيف الدولة أَهْلَكَ الروم في هذه الموقعة ولم يبق منهم إلا النساء، والذي حماهنّ من السيوف هو أنوثتهن، ومنهن بنات البطاريق وقادة الروم، وقد أُسِرْن وبقي آباؤهن يبكونهن وهنّ مطروحات عند المسلمين لا يرغبون فيهن.

تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ البَطاريقُ في الدُّجىٰ وهُنَّ لَدَيْنا مُلْقَياتٌ كواسِدُ[4]

وأخيراً يرجع ليقول في سيف الدولة: إنك أيها الأمير للملك بمنزلة الحسام لكن الضارب به هو الله جلّ جلاله، وأنت للدين لواء والله عاقد لا غيره، ويؤكد في البيت القيمة الدينية عند الشاعر.

---

(١) اللقان: بلد الروم وراء خرشنة.
هنزيط: من الثغور الرومية.
آمد: بلد في أول بلاد الروم.
(٢) الصفصاف: حصن من حصون الروم.
سابور: حصن من حصون الروم.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٧٤.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٧٥.
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٢٧٦.

فـأنْـتَ حُسـامُ المُلْـكِ واللهُ ضـارِبٌ وأنْـتَ لِـواءُ الـدّيـنِ واللهُ عـاقِـدُ[1]

وأخيراً جعل أميره بمنزلة عظيمة إذ جعله بين الملوك كالشمس والبدر وغيره من الملوك كالنجوم الخفية.

قال أبو الفتح: «جعل أميره بالنسبة إلىٰ أعدائه كالشمس والقمر إلىٰ السها والفرقدين».

أُحِبُّـكَ يـا شَمْـسَ الـزمـانِ وبَـدْرَهُ وإن لامَني فيكَ السُّها والفَراقِدُ[2]

معركة عام ٣٤١هـ[3]:

لمّا أتىٰ الدمستق (مرعش) بعد معركة خرشنة أوقع في سورها تهديماً، فشخص سيف الدولة سنة ٣٤١هـ لطرد الروم، ففرق المال علىٰ أهل الثغور الفقراء، وبنىٰ السور فأقامه وعلاه، وبنىٰ القلعة في شاهق السور، وكان شخوصه بجيش لجب يسد الفضاء ويملأ وجه الليل، ولم يكن المتنبي في تلك المعركة، وإنما لبث في حلب، ولمّا قفل سيف الدولة من طرد الدمستق وأغاثه المنكوبين من أهل الثغور خرج أبو الطيب للقائه، فلما استشرف وفد اللقاء الذي فيه المتنبي، ترجل وصحبه للإلمام بسيف الدولة كرامة أن يصلوا إليه راكبين في مكان لقائه، ويقول مصطفىٰ الشكعة[4]: «إن سيف الدولة قلل من شأن الروم سنة ٣٤١هـ فبعث لهم بالأمير الشاب الفارس أبي فراس الحمداني».

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٢٨٠.

(٣) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٧.
أحمد صالح فاعور: الدولة الحمدانية في حلب ص١٧٢.
زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٨٢.
سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص٨٦.
هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص٢٢٠.

(٤) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٧.

وينظم المتنبي هذه القصيدة بمناسبة بناء مرعش والتي مطلعها:

فَـدَيْنـاكَ مِـنْ رَبْـعٍ وإنْ زِدْتَنـا كَـرْبـاً فإنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ للشَّمْسِ والغَرْبا[1]

وجد المتنبي في سيف الدولة خاصة وفي معاركه ضد الروم مثالاً للفرد العربي الشجاع المقاتل، فأطال الحديث عنه، وقد جعل أميره كفاية أمته، وهو سيف عند أعدائها، وعقل واع يحقق لأمته طموحاتها، وهو عربي من ولد نزار فالخوف منه أولىٰ من الخوف من سيوف الحديد.

تُهـابُ سُيـوفُ الهِنْـدِ وهْـيَ حَـدائِـدٌ فكيـفَ إذا كـانـتْ نِـزاريـةً عُـرْبـا[2]

إنّ سيف الدولة عالم أديب، عالم بخفيات الديانات، وهو يعلم منها ومن اللغات ما لا يعلمه غيره، وله خواطر في العلم تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجري علىٰ خاطره.

عليـمٌ بـأَسْـرارِ الـدِّيـانـاتِ واللُّغَـىٰ له خَطَراتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ والكُتْبا[3]

إنّ سيفَ الدولةِ مسلمٌ مؤمن بالله وهو من حزب الله، يعمل من أجل تطبيق حكم الله، من أجل انتصار الحق علىٰ الباطل، انتصار الإيمان علىٰ الكفر.

هَنيئـاً لأهْـلِ الثَّغْـرِ رأيُـكَ فيهـمُ وأنّكَ حِزبَ اللهِ صِرْتَ لَهُم حِزْبا[4]

وهذه هي مآثرك أيها الأمير المجاهد.

فيَـوْمـاً بِخَيْـلٍ تَطْـرُدُ الـرومَ عنهُـمُ ويَوْماً بِجودٍ يَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدْبا[5]

حروب وقتال وظفر مؤكد، ونجدة كريمة، وعون وكرم يقضيان علىٰ الفقر وينبتان الخير والبركة.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٥٦.

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٦١.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٦٢.

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٦٢.

(٥) المصدر نفسه جـ١ ص٦٣.

المتنبي شاعر مسلم صادق الإحساس في شعره، يصور المعارك التي تدور بين معسكر المؤمنين ومعسكر الكفر أصدق تصوير، فهو عبارة عن وسيلة إعلام في لغة اليوم، فهو يصف الحرب وانتصار المسلمين علىٰ الروم بأنه يدرّ علىٰ البلاد الخير والبركة، يصف فرق المجاهدين تتوالىٰ علىٰ المعركة، وتنكشف المعركة عن العدو فإذا هو علىٰ أسوأ حال، حيث هرب القائد، وترك جنده قتلىٰ وأمواله نهبىٰ.

تقدم جيش المسلمين بقيادة المجاهد سيف الدولة نحو مرعش، فلما أتىٰ هذا الثغر أتاه مسروراً، فالبعيد عليه قريب لنشاطه، فلما أقبلت إليه أدبر منهزماً، فالقريب عليه بعيد لخوفه، وما لحقه من الذّعر، ففي إقباله أتىٰ مسروراً، كأن الأرض تطوى له، فلمّا أدبر طالت عليه الطريق.

إن قائد الروم كان باللُّقَّان، فلما أقبل سيف الدولة، انهزم ذليلاً، انهزمت جموع جيش الكفر بعدما تشاجرت الرماح ساعة، كما تختلط الأهداف الأعالي بالأسافل عند القوم.

انهزم القائد الرومي وبالأحرىٰ هرب، وبقي من دهشته لا يدري ما يصنع فكان يلمس جنبه، هل يجد روحه بين جنبيه من الذهول والفزع.

انهزم القائد وترك وراءه العذارىٰ والبطاريق والرهبان والقرابين ولم يلتفت إليهم لهول ما رأىٰ.

سَراياكَ تَتْرىٰ[1] والدُّمُسْتُقُ هارِبٌ ... وأَصْحابُهُ قَتْلىٰ وأموالُهُ نُهبىٰ
أتىٰ مَرْعَشاً[2] يَسْتَقْرِبُ البُعْدَ مُقْبِلاً ... وأَدْبَرَ إذْ أقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ القُرْبا
كذا يَتْرُكُ الأعداءَ مَنْ يَكْرَهُ القَنا ... ويَقْفِلُ مَنْ كانَتْ غنيمَتُهُ رُعْبا
وهَلْ رَدَّ عنه باللُّقانِ وقُوفُهُ ... صُدورَ العَوالي والمُطَهَّمَةَ القُبّا[3]

---

(١) تترىٰ: متتابعة قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾. مادة (وتر) ص٧٠٧ مختار الصحاح.

(٢) مرعش: حصن ببلد الروم من أعمال ملطية.

(٣) اللقان: ثغر ببلد الروم.

المطهم: الفرس الذي يحسن منه كل شيء علىٰ حدته والقب: جمع أقب وهو الصفا والبطن.

مَضىٰ بعد ما الْتَفَّ الرماحانِ ساعةً كما يَتَلَقّىٰ الهُدْبُ في الرَّقْدَةِ الهُدْبا[1]
ولكنّــهُ وَلــىٰ وللطَّعْــنِ سَــوْرَةٌ[2] إذا ذَكَــرَتْهــا نفسُــهُ لَمَــسَ الجَنْبــا
وخَلَّىٰ العذارىٰ والبطاريقَ والقُرَىٰ وشُعْثَ النَّصارىٰ والقَرابينَ والصُّلْبا[3]

ثم يصور لنا الشاعر الجبان ويقصد به قائد الروم، والشجاع ويقصد الأمير سيف الدولة، فيقول إن الجبان يتقي الحرب حبّاً لنفسه، والشجاع يرد الحرب دفعاً عن مهجته ومحاماة عن نفسه، والشجاع مهيب لا يهجم عليه أحد، والجبان يعتدى عليه.

فحُــبُّ الجَبــانِ النَّفْــسَ أوْرَدَهُ التُّقــىٰ وحُبُّ الشُّجاع النَّفْسَ أوردَهُ الحَرْبا
ويَخْتَلِــفُ الــرِّزْقــانِ والفِعْــلُ واحــدٌ إلــىٰ أن يُرىٰ إحْســانُ هــذا لــذا ذَنْبــا

بعد ذلك يبيّن لنا الشاعر مكانة سيف الدولة من الخلافة حيث يقول: إن الخلافة سمّته دون الناس بسيف دولتها، أعدّته لأمر من الأمور، وذلك لأنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد وأي شيء أهم من قتال الكفار الروم والانتصار عليهم.

لأمْــر أعــدَّتْــهُ الخِــلافَــةُ لِلْعِــدىٰ وسَمَّتْهُ دونَ العالَمِ الصارِمَ العَضْبا[4]

وأخيراً يوضح رسالة سيف الدولة في الحرب بأنه كريم مؤمن يرضىٰ المكارم بجوده ويرضىٰ الله تعالىٰ بجهاده في سبيل الله.

---

(١) الرماحان: يقصد رماح الفريقين.
الهدب: أشفار العين مادة (هدب) ص٦٩٢ مختار الصحاح.
(٢) السورة: الارتفاع.
(٣) العذارىٰ: جمع عذراء وهي البكر من النساء.
البطاريق: جمع بطريق وهم أمراء الجيش وفرسانه.
شعث النصارىٰ: الرهبان.
القرابين: خواص الملك.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٦٤.
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٦٨.

فَمَنْ كان يُرْضي اللؤمَ والكُفْرَ مُلكُهُ فهذا الذي يُرْضي المكارِمَ والرَّبا[1]

خواطر وأحداث وشعر يطلقه المتنبي صافياً معبراً، يحمل النبرة اللاهبة والتجاوب الصادق، ويظل مع التاريخ قوياً حيّاً لأن الشاعر رفع من مستوىٰ التاريخ إلىٰ ذروة الخلق المبدع.

حوادث ٣٤١هـ[2]:

كان ملوك الروم في تاريخ حروبهم مع المسلمين يطلبون منهم الهدنة أو الفداء أو تبادل الأسرىٰ، وتدفعهم في ذلك أسباب من فتن السياسة التي كانت تقع في القسطنيطينية، ومن ضعف الجيوش البيزنطية، أو اختلاف قادتها، أو لوجود كثرة في الأسرىٰ، وقد يطلب المسلمون الفداء أو تبادل الأسرىٰ وقد يطلبون الهدنة.

وقد حصلت المفاداة والهُدْنة بعد أنْ أرسل ملك الروم وَفْداً إلىٰ سيف الدولة عقب معركة خرشنة وسرية مرعش، أقبل رسول ملك الروم في آخر سنة ٣٤١هـ في سبيل الفداء، فاستقبله سيف الدولة في حفل ضخم، يريد أن يلقي الرعب في نفسه، وجاء غلمان الأمير بلبؤة مقتولة فألقوها في طريق الفداء ومن حولها أشبالها أحياء، وأقبل المتنبي لينشد قصيدته التي أعدها للحفل فلما رأىٰ اللبؤة وأشبالها ارتجل هذه الأبيات.

لَقيتَ العُفاةَ بآمالِها وزُرْتَ العُداةَ بآجالِها
وأقْبَلْتِ الرُّومُ تَمْشي إليكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وأشْبالِها
إذا رأتِ الأسْدُ مَسْبِيَّةً فأيْنَ تفرُّ بأطْفالِها[3]

ثم قام بعد ذلك بين يدي الأمير فأنشد القافية التي هيأها لهذا المقام ومطلعها:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٦٩.

(٢) كامل العبد الله: شعراء من الماضي ص٢٦٩-٢٧١.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٩٢-٩٣.

لعَيْنَيْكِ ما يَلْقىٰ الفُؤادُ وما لَقي وللحبِّ ما لم يَبْق منِّي وما بقي[1]

وبعد مقدمة طويلة تحدث فيها الشاعر عن المعارك الحربية التي تدور رحاها بين الروم البيزنطيين من جهة وبين المجاهدين المسلمين من جهة ثانية خاطب سيف الدولة قائلاً له:

لما علم ملك الروم طربك وميلك إلىٰ الكرم، خضع لك السائل، فخلّىٰ الرماح، ورجع صاغراً إلىٰ ما طلبته منه.

إنك أيها الأمير الشجاع لا تحارب إلا شجاعاً، لذلك كاتبك من بُعْدٍ يطلب الهدنة والصلح، لأنّ أرضه وإن كانت بعيدة لكنّها قريبة علىٰ خيلك، «لقد أقبل رسول ملك الروم يمشي إليك بين السمّاطين، فتصور له منك البحر في السخاء والبدر في العلاء، فلم يدرِ أيهما يمشي، فغشيهُ من هيبته، وملأ قلبه من جلالته، ما لا يعرض مثله إلا لمن قصد مُصمّماً إلىٰ البحر، وارتفع مرتقياً إلىٰ البدر، يعظم ما عاين من هيبته»[2]، ثم يقول: إن أعطيته مطلوبه من الأمان فقد أذعن ملك الروم بطاعتك وصرح بمسألتك، وإن نعطه حد السيف غير قابل لمسألته، ولا مسعف لرغبته فما أخلقك بذلك، لأنه كافر حربي وعادتك لا ترحمهم.

رأىٰ مَلِكُ الرّومِ ارتياحَكَ للنَّدىٰ فقامَ مقامَ المُجْتدي المُتَملِّقِ[3]
وخلّىٰ الرِّماحَ السَّمْهَرِيَّةَ[4] صاغِراً لأدْرَبَ منهُ بالطِّعان وأحْذَقِ
وكاتَبَ مِنْ أرضٍ بعيدٍ مَرامُها قريبٍ علىٰ خَيْلٍ حَوالَيْكَ سُبَّقِ

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢ ص٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٣١٢.

(٣) الارتياح: الطرب.
المجتدي: السائل.
المتملق: الذي يخضع ويلين كلامه.

(٤) السمهرية: منسوبة إلىٰ سمهر ازوج ردينة، كانا يقومان الرماح. مادة (سمهر) مختار الصحاح ص٣١٥.
والسمهر: الرمح الصلب العود.

وقَدْ سارَ في مَسْراكَ[1] مِنْها رَسُولُهُ ... فما سارَ إلا فَوْقَ هامٍ مُفلَّقِ
فلمّا دَنا أخْفىٰ عليه مكانَهُ ... شُعاعُ الحديدِ البارقِ المتألِّقِ
فأقبلَ يَمْشي في البِساطِ فما دَرىٰ ... إلىٰ البحرِ يَمْشي أمْ إلىٰ البَدْرِ يَرْتَقي؟
ولَمْ يَثْنِكَ الأعداءُ من مُهجاتِهم ... بمثْلِ خُضُوعٍ في كلامٍ مُنَمَّقِ
وكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قبلَ هذه ... كتَبْتَ إليهِ في قَذالِ[2] الدَّمُسْتُقِ
فإنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأمانَ فَسائِلٌ ... وإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الحُسامِ فأخْلِقِ
وهل تَرَكَ البيضُ الصّوارمُ مِنْهُمُ ... أسيراً لفاد أو رقيقاً لِمُعْتِقِ[3]

معركة الثغور عام ٣٤٢هـ[4]:

في هذا العام أصَرّ العدو أنْ يَثْأرَ لنفسه فكمن بجيش كثيف عند «مَوْزار» وبحيلة بارعة من سيف الدولة سحب جيش البيزنطيين إلىٰ مكان يصلح أرضاً للمعركة، والتحم الفريقان في حرب ضروس، انتصر فيها المسلمون علىٰ الروم انتصاراً باهراً، وظل الجيش الإسلامي يضرب في الروم باسطاً سلطانه علىٰ «سمنين» و«حصن الران» وغيرهما من المواقع، فانتهز العدو هذه الفرصة وأغار علىٰ بعض أطراف الدولة الإسلامية، فبلغ سيف الدولة الذي انطلق إليه وأدركه عند نهر «جيحان» وكانت معركة رهيبة، جرح فيها القائد البيزنطي «برداس فوكاس» وأسر ابنه «قسطنطين».

---

(١) المسرىٰ: الموضع الذي يسار فيه بالليل. مادة (سرىٰ) مختار الصحاح ص٢٩٧.
(٢) قذال: مؤخر الرأس: مادة (قذل).
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣١١-٣١٣.
(٤) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٨٥.
هادي نهر: مع المتنبي في شعره ص١٥٣.
طه حسين: مع المتنبي ص٢٢٨.
مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٨.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٩٥.

كانت هذه الهزيمة شديدة الوقع علىٰ القائد البيزنطي، فلم يتحمل إهانتها ولذلك دخل الدير مترهباً، وانتهز شعراء سيف الدولة هذه الحادثة فقالوا شعراً كثيراً يصور المعركة وفي هذه المناسبة قام شاعرنا الأكبر المتنبي ونظم هذه القصيدة التي مطلعها:

لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ ولَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ

إن هذه القصيدة من قصائد المتنبي الخالدات[1] في وصف معارك المسلمين ضد الروم، في هذه المعركة عَبَر سيف الدولة الفرات إلىٰ «دلوك» إلىٰ قنطرة «صنجة» إلىٰ «درب القلعة» فشنّ الغارة فعطف عليه العدو فقتل كثيراً منهم ورجع إلىٰ «ملطية» حتىٰ ورد الفرات، فتواردت إليه أنباء دخول الروم في بعض الأطراف الإسلامية.

لقد عدّ طه حسين[2] هذه القصيدة من أروع ما قال المتنبي في سيفيّاته من الشعر، إن الحوادث تجري في حركة ملحمية قوية، وكل نكسة من نكسات هذه الحملة بارزة بشكل تفننت فيه قريحة الشاعر المصور، فترىٰ فيالق الأمير تغطي الجبال في منطقة دلوك وصنجة ونلمح انقضاضها علىٰ العدو. وانتحاب المأسورات وهنّ يمزقن ثيابهن في حرقة، والانسحاب المعرقل في درب الموزار والرجوع إلىٰ ملطية التي تضرم فيها النيران ويسال الدم، واجتياز «قباقب» التي تسحقها كراديس الخيل، وعبور الفرات الذي فزع من هذه السيول البشرية المنقضة عليه، والمذابح الجديدة في هنزبط، ووصول الجيوش المنهكة إلىٰ حصن الران في ديار الإسلام، تلك الجيوش التي أدركها الإعياء من شدة الزحف، ثم يعود الزحف إلىٰ سيرته الأولىٰ في القطر المضطرب الذي يمتد من هناك إلىٰ سُمَيْساطَ ويَزْحَفُ الجيش ليلاً ونهاراً، إذ ينبغي عليه مداهمة العدو العائد من سورية مثقلاً بالأسرىٰ.

---

(١) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص١٥٣.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ص٢٣٨.

وتدور المعركة قرب «مرعش» وتحيق الهزيمة بالروم، ويتعقب سيف الدولة قادتهم وتحطم ضرب السيوف بيض رؤوسهم، وأخيراً يبدو الدمستق مقهوراً منتحباً مدمىٰ لأنه جرح في وجهه جرحاً وآخر في قلبه أبلغ وأعمق وذلك لتركه ولده قسطنطين إلىٰ خطيّة العرب المسلمين.

يبدأ شاعرنا قصيدته بغزل جميل فيه حنان ورقة، ثم يصف رحيل حبيبته والفراق الذي حل محل الوصال، بعد ذلك يلمح في الشكوىٰ، ويخلص بعد ذلك من هذه الغزلية الرقيقة المزدحمة بالألوان البهية لكي يمدح سيف الدولة ذاكراً موقعته مع الروم.

إن المتنبي حريص كل الحرص في كل شعره الحربي أن يذكر الخيل ويصفها أوصافاً مختلفة وهو المولع فيها العارف بحقيقة صفاتها، فرسمها وقد رمىٰ سيف الدولة درب الروم إلىٰ العدىٰ، فانطلقت وكأنها السهام، ومضت وهي تغذ الركض رافعة أذنابها، وهي في مرح وصهيل تحت الفرسان إلىٰ أن كبست الروم فما شعروا حتىٰ رأوها تمطرهم بالحديد وتظلهم بالسيوف.

رَمَىٰ الدَّرْبَ بالجُرْدِ[1] الجِيادِ إلىٰ العِدَا ... وما عَلِمُوا أنّ السِّهامَ خُيُولُ
شَوائِلَ[2] تَشْوَالَ العقارِبِ بالقَنا ... لها مَرَحٌ من تَحْتِهِ وصهيلُ
وخَيْلٌ بَراها الرَكْضُ في كلِّ بَلْدَةٍ ... إذا عَرَّسَتْ فيها فلَيْسَ تَقيلُ[3]

إن خيول المسلمين قد انتهت إلىٰ آخر السهل عند «دلوك» و«صنجة» وإذا هي تصعد مرتقية في الجبال، وإذا هي تبلغ قمم الأطواد فتزحمها بنفسها وحركاتها، كما تملأ الجو الرايات والأعلام، والعدو مع كل هذه ساهٍ لاهٍ لا يعرف ما دُبِّرَ له.

---

(١) الجرد: الخيل التي شعر جلدها قصير، مادة (جرد) لسان العرب المعكوس جـ١ ص٤٣٢.

(٢) شوائل: الخيل التي ترفع أذنابها عند الجري وهو دليل علىٰ قوتها. في لسان العرب ص٣٨٤: سالت الناقة ذنبها تشوله شولاً أي رفعته.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٩٩-١٠٠.

فلمّـا تَجَلّـىٰ مِـنْ دَلُـوكَ وصَنْجَـةٍ عَلَـتْ كُـلَّ طَـوْدٍ[1] رايـةٌ ورعيـلُ
علىٰ طُـرُقٍ فيهـا علىٰ الطُّرْقِ رِفْعـةٌ وفي ذِكْرِها عندَ الأنيس خُمُولُ[2]

ثم يأتي إلىٰ مباغتة الجيش الإسلامي لقوات الرّوم واكتساحها، فكانت خيول المسلمين قبيحة في أعين الروم لسوء فعلها بهم، وهي مع ذلك جميلة الخلق وقد اندفعت بِكُماتِها كالسحاب لما فيها من برق الأسلحة، وصياح الأبطال تصبّ الموت علىٰ الأعداء، وتمطرهم بالسيوف والأسنّة فتغسل كل مكان بما تسفكه من الدماء.

فمـا شَعَـروا حتـىٰ رَأَوْهـا مُغيـرَةً قِبـاحـاً وأمَّـاً خَلْقُهـا فَجَميـلُ
سَحـائِـبُ يُمْطِـرْنَ الحـديـدَ عَلَيْهِـمُ فكُـلُّ مكـانٍ بـالسُّيُـوفِ غَسيـلُ[3]

وانجلت المعركة عن انتصار المجاهدين المسلمين، وانسحاب جيش الكفر الروم مخلّفين قتلاهم وعدّتهم التي غنمها المجاهدون، وعادوا بها، وفي طريق العودة اعترضهم الروم من جديد، ودارت بين الفريقين معركة ثانية، اندفع خلالها المجاهدون المسلمون نحو ملطية فاكتسحوها.

وعـادَتْ فظنّـوهـا بمَـوْزارّ قُفَّـلاً وليـسَ لهـا إلا الـدُّخـولَ قُفُـولُ
تُسـايِـرُهـا النيـرانُ فـي كُـلِّ مَسْلَـكٍ بـه القـومُ صَـرْعـىٰ والـدّيـارُ طُلـولُ
وكـرّتْ فمَـرَّتْ فـي دمـاءِ مَلَطْيَـةٍ مَلَطْيَـــةُ أمٌّ للبنيـــنَ ثُكُـــولُ[4]

وما أبدع تصوير المتنبي لاندفاع جيش المسلمين نحو الفرات وعبوره، فيرسم لنا الشاعر وهو في غمرة وصف زحف جيوش الأمير، وبصورة تأخذ بألبابنا السرعة الصاعقة لهذه الكتائب الخفيفة التي تنقض علىٰ العدو فتسحقه، رغم تفوق العدو واندفاعها نحو النهر مثيرة فيه الفزع فكأنّها تنحدر عليه سيولاً بالرجال، وكأن الموج يجفل عند قوائم الخيل ويجري أمامه وهي تتبعه:

---

(١) طود: الجبل. مادة (طود) مختار الصحاح ص٣٩٩.
(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٠٠.
(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص١٠١.
(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص١٠٢.

وأضْعَفْنَ ما كُلِّفْنَهُ من قُباقِبٍ فأضْحي كأنَّ الماءَ فيه عليلُ
ورُعْنَ بنا قَلْبَ الفُراتِ كأنّما تخِرُّ عليه بالرِّجال سُيولُ
يُطارِدُ فيه موجَهُ كُلُّ سابِحٍ سواءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ ومَسيلُ
تراهُ كأنَّ الماءَ مرَّ بجسمِهِ وأقْبَلَ رأسٌ وحدَهُ وتَليلُ[1]

بعد ذلك يصف الشاعر المواقع التي جرت في «هنزيط» و«سمنين» فكانت الخيل تبيد الأعداء، وكانت الحصون لطول ما ملّت النّزال تلقىٰ إلىٰ جيش سيف الدولة بأهلها، لقد اندفع جيش المسلمين نحو حصن الروم في أرض وعرة، فاكتسحها واحداً واحداً، ثم يذكر الشاعر مراحل أخرىٰ من الفتوح والقتال في حِصْن الرّان فسميساط، وعند مرعش تدور الدائرة علىٰ جيش الروم:

وفي بَطْنِ هِنْزيطٍ وسِمْنين للظُّبا وصُمَّ القَنا مِمَّنْ أبَدْنَ بديلُ
وبِتْنَ بحِصْنِ الرّانِ رزْحىٰ مِنَ الوجىٰ وكلُّ عزيزٍ للأميرِ ذليلُ
ودونَ سُمَيْساطَ المطاميرُ والملا وأوْدِيَةٌ مُجهولَةٌ وهُجُولُ
لَبِسْنَ الدُّجىٰ فيها إلىٰ أرضِ مَرْعَشٍ وللرّومِ خَطْبٌ في البلادِ جَليلُ[2]

بعد أن تعب الشاعر من هذه الغزوات المتلاحقة السريعة، لم يجدْ بدّاً من أن يترك غبار المعركة وقعقعة السلاح، وصليل السيوف، وصهيل الخيول، وعبور الأنهار واقتحام الحصون وتسلق القمم، لكي يفيء إلىٰ ظلّ شجرة يستريح إلىٰ جانب غصن لكي يُصوّر الجانب النّفْسي والسّياسي من المعركة ويخلص إلىٰ أميره الذي لم يذكره بشخصه إلا ببضعة أبيات لأنه انشغل بنفسه، وبالجيش الذي يرافقه.

يلتفت الشاعر إلىٰ سيف الدولة ويصفه بما يوصف به عظماء المجاهدين من أنّ الرماح عنه قصيرة والسّيوف عنه كليلة لا تُؤثر فيه، وهو جواد بماله وبخَيْلِهِ وبجنده، لا يوردهم موارد الهلاك، وإنّما يدفعهم إلىٰ حيث مواكب النصر ومواقع

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٠٢-١٠٣.
(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص١٠٣-١٠٤.

الظفر، ثمَّ يتعرض الشاعر لأهم ما حدث في المعركة وهو أسر قسطنطين ابن الإمبراطور القائد ويتوعده بالعودة ويتهكم عليه في سخرية لاذعة وأنّه هرب جريحاً وترك ابنه أسيراً.

فلمـــا رأوْهُ وَحْـــدَهُ قَبْـــلَ جَيْشِـــهِ ... دَرَوْا أنّ كُـــلَّ العـــالميـــنَ فُضُـــولُ
وأنَّ رمـــاحَ الخَـــطِّ عنـــه قصيـــرةٌ ... وأنّ حـــديـــدَ الهِنْـــدِ عنـــهُ كَليـــلُ[1]
فـأوْرَدَهُـمْ صـدْرَ الحصـانِ وسَيْفَـهُ ... فتـىً بـأسُـهُ مِثْـلُ العَطـاءِ جـزيـلُ
جـوادٌ علـىٰ العـلاّتِ بـالمـالِ كُلِّـهِ ... ولكنَّـــهُ بـــالـــدّارعيـــنَ بخيـــل
فـــودَّعَ قتـــلاهُـــمْ وشَيَّـــعَ فلَّهُـــمْ ... بضَـرْبٍ حُـزونُ البَيْـضِ فيـه سُهـولُ
علـىٰ قلْـبِ قسطنطيـنَ منـهُ تعجُّـبٌ ... وإنْ كـان فـي سـاقيْـهِ منـهُ كُبـولُ
لعلَّـكَ يـومـاً يـا دُمستُـقُ عـائِـدٌ ... فكـــم هـــاربٍ ممـــا إليـــه يَـــؤولُ
نجـوْتَ بـإحـدىٰ مُهْجَتَيْـكَ جريحـة ... وخلّفْـتَ إحـدىٰ مُهْجَتَيْـكَ تَسيـلُ
أتُسْلِـمُ للخطيَّـةِ ابنَـكَ هـاربـاً ... ويسكُـنُ فـي الـدُّنْيـا إليـكَ خَليـلُ[2]

والحق أنّ هذه القصيدة تُعَدّ من أجمل ما قال المتنبي، ولعل من أسباب روعتها أنه جعل من الخيل أبطالاً لقصة المعركة وإلىٰ آخرها فأظهرها علىٰ مسرح القصيدة ووصفها في الصف الأول ووضع الجنود بين السطور وخلف النار[3] وعدّها طه حسين[4] من أروع ما قاله المتنبي وقال عنها هادي نهر[5] من القصائد الخالدات.

---

(١) الخط: قال الجوهري: الخط باليمامة، وهو خط هجر، تنسب إليه الرماح الخطية. قال ابن سيدة: الخط سيف البحرين وعمان وقيل إن كل سيف خط وقيل الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح. مادة (خط) لسان العرب جـ١ ص٨٥٩.
كليل: لا يقطع. مادة (كليل) مختار الصحاح ص٥٧٦.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٠٤-١٠٦.

(٣) مصطفىٰ الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص٤٠٤.

(٤) طه حسين: مع المتنبي ص٢٣٨.

(٥) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص١٥٣.

معركة عام ٣٤٢هـ:

قال المتنبي يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحىٰ، لم يدع أبو الطيب ذكرىٰ معركة الثغور الكبرىٰ سنة ٣٤٢هـ التي وقعت في بلاد كثيرة من الثغور.

فقد ردد هذه الذكرىٰ حين هنأ سيف الدولة بعيد الأضحىٰ، إذ أنشده في ميدان حلب وتحت دار سيف الدولة وهما علىٰ فرسيهما قصيدة التهنئة بالعيد والنصر التي مطلعها:

لكُـلّ امـرىءٍ مـنْ دهـرِهِ مـا تعـوَّدا وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطّعْنُ في العِدا[1]

وصف المتنبي ابن الدمستق الذي وقع في الأسر كأنه قد مات وقد عاش أبوه لفراره ونجاته، وشرح أبو الطيب في هذه القصيدة أيضاً أنّ الجيش كلّه قد وقع في الأسر، وأنَّ «برداس» الهارب لم يجد له عزاء سوىٰ لبس المسوح التي يلبسها الرهبان والاعتكاف في الدير، وكان ذلك دأب القادة البيزنطيين حين يخسرون الحروب فيلجأون إلىٰ الديارات للسلوىٰ[2]، صوّر أبو الطيب كل ذلك وخلع علىٰ فنه فيه مسحة تهكُّم حيث وصفه بأنه أصبح يتوكّأ علىٰ عكاز يطوف في جنبات الدير في حسرة بادية وذلّةٍ وانكسار بعد أنْ كان يتمنطق بالسيف ويتّشح بالدّرع مصطنعاً الكرّ والفرّ علىٰ الجياد، ثم يذكر الشاعر أنّ هذا الترهيب ليس بمنجيه من بطش الأمير:

لـذلـك سَمَّـىٰ ابـنُ الـدُّمُسْتُـقِ يَـوْمَـهُ مَمَـاتَـاً وسَمَّـاهُ الـدُّمُسْتُـقُ مَـوْلِـدا
سريْتُ إلىٰ جَيْحانَ من أرضِ آمِدٍ ثـلاثـاً لقـد أدنـاك رَكْـشٌ وأَبْعَـدَا
فـولّـىٰ وأعْطَـاكَ ابنَـهُ وجيـوشَـهُ جميعـاً ولـم يُعْـطِ الجميـعَ لِيُحْمَـدا
عَـرَضْـتَ لـهُ دونَ الحيـاةِ وطَـرْفِـهِ وأبصَـرَ سَيْـفَ اللهِ منـكَ مُجَـرَّدا

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٨١.

(٢) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٨٧.

وما طَلَبَتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ[1] غيرَهُ ... ولكنَّ قسطنطينَ كانَ لهُ الفِدا
فأصبحَ يجتابُ المسوحَ مخافةً ... وقد كان يجتابُ الدّلاصَ المُسَرَّدا[2]
ويَمْشي به العُكّازُ في الدّيْرِ تائِباً ... وما كان يَرْضى مَشْيَ أشْقَرَ أجْرَدَا
وما تابَ حتّىٰ غادَرَ الكرّ وُجْهَهُ ... جريحاً وخلّىٰ جَفْنَهُ النَّقْعُ أرْمَدا
فلو كانَ يُنْجي من عليٍّ ترهُّبٌ ... ترهَّبَتِ الأملاكُ مَثْنىٰ ومَوْحَدا[3]

ثم يهنّىء الشاعر الأمير بالعيد الذي يفرح به الناس فيقول له:

إنَّك عيد لكل الناس، الناس تفرح بسلامتك، والعيد يفرح بوصوله إليك، فأنْت عيده، أي تحلّ فيه محلّ العيد، فأنت أيها الأمير عيد كل مسلم مؤمن مجاهد.

هنيئاً لكَ العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ ... وعيدٌ لمَنْ سَمَّىٰ وضَحَّىٰ وعَيَّدا[4]

ثم يهاجم خليفة المسلمين في بغداد تصريحا لا تلميحا ويرسل إليه نذيرا لا لبس فيه، وذلك لأنه يرىٰ بطله يقضي حياته في جهاد الكفّار بينما هو قابع لا يملك من نفسه شيئاً.

فيا عَجَباً من دائِلٍ أنتَ سيفُهُ ... أما يَتَوقَّىٰ شفْرَتَيْ ما تَقَلّدَا
ومن يَجْعَلِ الضرغامَ بازاً لِصَيْدِهِ ... يُصَيِّرهُ الضّرغامُ فيما تَصَيَّدا[5]

في هذه القصيدة يظهر النضج الفني لدىٰ الشاعر، وخصب الشاعرية لذلك ترىٰ كثيراً من أبيات القصيدة حكماً متلاحقة.

---

(١) الأسنة: جمع سن وهو الزج الذي في أسفل الرمح.

(٢) المسوح: جمع مسح وهو ما ينسج من الشعر يقطعها ويدخل فيها من خوفه منك، الكساء من الشعر. مادة (مسح) لسان العرب ص٤٨.
المسرد: المنظوم المنسوج بعضه في بعض. مادة (سرد) لسان العرب جـ٢ ص١٣٠.
الدلاص: الدروع الصافية البارقة. مادة (دلص) لسان العرب جـ١ ص١٠٠٧.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٢٨٣-٢٨٥.

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص٢٨٥.

(٥) المصدر نفسه جـ١ ص٢٨٧.

معركة الحدث[1] سنة ٣٤٣هـ[2]:

حصن الحدث هو أحد المنافذ إلىٰ بلاد الروم، كان الروم قد ضربوه سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة حتىٰ لا يكون شوكة في ظهورهم، فصمم سيف الدولة في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة علىٰ إعادة بنائه، ووضع الأساس بيده، وبينما هو قائم علىٰ البناء، إذ القائد الرومي «نقفور فوكاس» يرميه بجيش عدّته خمسون ألفاً من الرجالة والفرسان فيهم البلغار والأرمن، وكان معه ابنه «تيسفور فوكاس» ولم يكن مع سيف الدولة سوىٰ بضع مئات من فرسان قيل خمسمائة من حرسه الخاص.

احتدمت المعركة وغلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة، بل لقد دمرتها تدميراً إذ سقط في الميدان ثلاثة آلاف من الروم، ووقع كثير من البطارقة أسرىٰ، وكان ممن سفك دمه ابن بنت «برداس» وصهره، أما هو فقد فرّ بجلده.

لقد كان قائد الروم «فوكاس» وقد اصطحب معه البطارقة ومنهم «تودس الأعظم» صهر الدمستق، وكان يتقدمهم الصليب، وكان هدفهم الانتقام من الأمير المجاهد سيف الدولة.

كان المتنبي مرافقاً لسيف الدولة في هذه المعركة، وأبلىٰ بلاء حسناً، حتىٰ إذا انتهت نهايتها المظفرة الرائعة، وقف بين يدي الأمير ينشده هذه السيفية الخالدة، وقد بلغ فيها الذروة في التعبير عن بطولة أميره وفرسانه الشجعان، وإحساس المسلمين العميق بالعداء المستعر بينهم وبين الروم.

---

(١) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها علىٰ جبل يقال له الأحيدب. معجم البلدان: الحموي جـ٢ ص٢٢٧.

(٢) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٢٨، ٢٧٦.
زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٧٦.
سامي الكيالي: سيف الدولة الحمداني ص٨٧-٨٨.
أحمد صالح فاعور: الدولة الحمدانية ص١٦٥.

بدأ الشاعر هذه القصيدة الجهادية بأبيات حماسية تناسب جوّ المعركة ذاكراً العظماء وما يأتونه من عظائم الأمور.

على قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأْتي العزائِمُ وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المكارمُ[1]

ثم يتعرض لذكر الموقعة، ويصفها بالحمراء من كثرة الدم الذي صبغ أرضها من جنود الروم، وكيف أن السماء كانت تُمطر عليها الجماجم بدلاً من المطر، وكيف بناها سيف الدولة وقد اصطرعت السيوف وتقارعت القنا، وأحاط بها الفناء، وظللتها المنايا كأنها البحار الزاخرة الغائِرَة، وكانت قبل ذلك مجنونة لما يصيب المسلمين من أهلها من ظلم الروم، فهدّأ سيف الدولة من جنونها بتمائم كتبها لها، ولم تكن تلك التمائم إلا جثث الظالمين.

هَلْ الحَدثُ الحمراءُ تعرِفُ لونَها وتَعْلَمُ أيُّ السَّاقِيينِ الغمائِمُ
سَقَتْها الغَمامُ الغرُّ قبْلَ نُزُولِهِ فلمّا دَنا مِنْها سَقَتْها الجَماجِمُ
بناها فأعْلى والقَنا تَقْرَعُ القَنا ومَوْجُ المَنايا حَوْلَها مُتلاطِمُ
وكان بها مِثْلَ الجُنونِ فأصْبَحتْ ومِنْ جُثَثِ القَتْلى عليها تَمائمُ
طَريدةُ دَهْرٍ ساقَها فَرَدَدْتَها على الدِّينِ بالخَطِّيِّ والدّهْرُ راغِمُ[2]

فالمتنبي في الأبيات السابقة يعجب من تكليف سيف الدولة لكتائبه الصغيرة أن تنهض بِهِمَّةٍ في الحرب، وهي هِمَّة أعظم من أن تخصص بها الجيوش الضخمة، ومع ذلك فإن جيش سيف الدولة القليل بعدده وعدّته ينتصر على جيش الروم الكثير العدد والعدّة ويحقق عليه انتصارات رائعة.

بعد ذلك الوصف الرائع الجميل يلتفت المتنبي إلى الأمير معجباً به مفتوناً بقوته وعظمته ذاكراً له أنه قادر على فعل المعجزات وأن الروم والروس عاجزون عن هدم المدينة طالما أنّ دعائمها قائمة على الطعن الشديد والحرب المظفرة التي أنْصفت المظلومين من أهلها وشتت الظالمين.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٧٨.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٨٠-٣٨٢.

إذا كـانَ مـا تَنْـويـهِ فِعْـلاً مُضـارِعـاً مَضَىٰ قَبْلَ أنْ تُلْقىٰ عليه الجَوازمُ[1]
وكيف تُرجَّىٰ الرومُ والروسُ هَدْمَها وذا الطَّعْـن أسـاسٌ لهـا ودعـائـمُ
وقـد حـاكمـوهـا والمنـايـا حـواكِـمٌ فما ماتَ مظلومٌ ولا عاش ظالِمُ[2]

إن الشاعر منصف في وصف المعارك، فليست مهمته تزكية المسلمين وتمجيدهم وحدهم لذا لم يفته أن يكون دقيقاً في استعراضه لوصف المعركة، فلم يحط من قدر قوة الروم ولم يهوّن من شأنهم، بل وصف جيشهم الكبير الذي كان تحت إمرة أكبر قائد رومي عرفته الإمبراطورية في القرن العاشر الميلادي وهو «نقفور فوكاس» الذي قاد المعارك براً وبحراً في الشام وكريت وصقلية في دقة تامة أشاد بها جميع المؤرخين، يصف الشاعر ذلك الجيش ونظامه ودقته فيقول إنه جيش كثيف، زحف بشرق الأرض وغربها، تقارع أصواته آذان السماء، وهي أصوات أخلاط من البيزنطيين ومن وراءهم من الأوروبيين، أصوات مستعجمة قبيحة.

ويصور فرسان الروم يثقلهم ما يلبسونه وما تلبسه خيولهم من الحديد والفولاذ فعلىٰ رؤوسهم الخوذ، وعلىٰ أجسادهم الدروع، وفي أيديهم التروس الضخمة وعلىٰ الخيل السروج والحديد المصفح الذي لا تكاد تبين فيه قوائمها، وكل هذا الحديد يلمع تحت الشمس، وقد يكاد الإنسان يميز بين سيوفهم وما يلبسونه إذ كل ذلك حديد يلمع ويبرق، لله يوم هذه المعركة، فقد محا تمويه من يتظاهرون بالبطولة والفروسية، وكأنه نار صهرت التمويه والغش والخداع، فلم يبق يثبت سوىٰ الصارم، والسيف القاطع، والضيارم والأسد الشجاع، أما السيف الكليل فقد تقطع وأما الجبان فقد ولّىٰ الأدبار.

---

(١) الفعل المضارع: ما كان فيه إحدىٰ الزوائد الأربع، الألف للمتكلم، النون للجماعة، الياء للغائب، والتاء للمخاطب، والنحويون يسمون المستقبل المضارع وهو يصلح للحال والاستقبال حتىٰ تدخل عليه سوف والسين، فيصير للمستقبل خاصة، وأراد أبو الطيب الاستقبال ليصح له المعنىٰ، لأن الفعل الحاضر لا يجوز أن ينوي ويتوقع ولا يؤمر به.
الجوازم: أحرف الجزم، وأحرف الشرط، فهذه الحروف إذا دخلت علىٰ المضارع الصحيح سكنته وإذا دخلت علىٰ المعتل حذفت حرف العلة منه.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٨٢-٣٨٣.

أتَـوْكَ يجُـرّونَ الحـديـدَ كـأنَّهُـمْ سـرَوْا بجيـادٍ مـا لَهُـنَّ قـوائِـمُ
إذا بَـرقـوا لـمْ تُعْـرَفِ البيـضُ منهـمُ ثيـابُهُـمُ مـن مِثْلِهـا والعَمـائِـمُ
خميسٌ[1] بشَرْقِ الأرْضِ والغَرْبِ زحْفُهُ وفـي أُذُنِ الجَـوْزاءِ منـه زَمـازِمُ
تَجَمَّـعَ فيـهِ كُـلُّ لِسْـنٍ وأُمَّـةٍ فمـا تُفْهِـمُ الحُـدَّاثَ إلا التـراجـمُ
فللـهِ وقـتٌ ذوَّبَ الغِـشَّ نـارُهُ فلـم يَبْـقَ إلا صـارِمٌ أو ضُبـارِمُ
تَقَطَّـعَ مـا لا يَقْطَـعُ الـدِّرْعَ والقَنـا وفـرّ مـن الأبْطـالِ مـن لا يُصـادِمُ[2]

إنّ المتنبي يأتي بهذا الوصف المروّع المخيف المرعب لجيش الروم لكي يخلص إلىٰ أميره المجاهد الذي وقف رغم هذه القوة العاتية، وقف وقفة مشرفة، يعمل سيفه ذات اليمين وذات الشمال، فيهزم الأبطال ويطيح برؤوس الشجعان ولم تفارق البسمة ثغره، أو تترك البشاشة وجهه، وهو يشهد بقلب ثابت الانتصار العظيم، وهزيمة العدو أمامه، وخيله تلحق به في ذرىٰ الجبال:

وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شكٌّ لِواقِفٍ كأنَّك في جَفْنِ الرَّدىٰ وهو نائِم
تمُـرُّ بـكَ الأبطـالُ كَلْمـىٰ هـزيمـةً ووجْهُـكَ وضّـاحٌ وثَغْـرُكَ بـاسِـمُ
تَجـاوزْتَ مِقْـدارَ الشَّجـاعـةِ والنُّهـىٰ إلىٰ قَوْلِ قَوْمٍ أنتَ بالغَيْبِ عالِمُ[3]

ثم يعود شاعرنا الأعظم إلىٰ وصف المعمعة من جديد، ويذكر كيف شتت الأمير شمل الأعداء، فنشر الرعب، وأشاع الفوضىٰ في صفوفهم، حتىٰ اختل نظام الجيش وتراجع الجناحان نحو القلب، والضرب ينال من هاماتهم، والنصر غائب عنهم قريب من المسلمين، وصارت جثث الأعداء تتناثر علىٰ جبل الأحيدب بجوار الحدث وكأنها عرس للبطل المجاهد سيف الدولة، وما الأشلاء والجثث

---

(١) الخميس: الجيش العظيم له الميمنة والميسرة والقلب والجناحان، الجيش لأنه خمسة أقسام مادة (خمس) مختار الصحاح ص١٩٠. لسان العرب جـ١ ص٩٠٣.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٨٤-٣٨٥.

(٣) النهىٰ: جمع نهية وهي العقل. مادة (نهى) مختار الصحاح ص٦٩٣.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٨٦-٣٨٧.

إلا الدراهم التي تعوّد العرب في أعراسهم أن ينثروها علىٰ العروس فرحين مبتهجين:

ضَمَمْتَ جناحَيْهِمْ علىٰ القلبِ ضَمّةً ... تموتُ الخَوافي تحتها والقوادِمُ[1]
بضَرْبٍ أتىٰ الهاماتِ والنَّصْرُ غائِبُ ... وصارَ إلىٰ اللّبّاتِ والنَّصرُ قادمُ
حَقَرْتَ الرّدينيّات حتىٰ طَرحْتَها ... وحتّىٰ كأنّ السَّيْفَ للرُّمحِ شاتِمُ
ومَنْ طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما ... مفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصّوارِمُ
نَثَرْنَهُمُ فوق الأُحَيْدبِ نَثْرَةً ... كما نُثِرَتْ فوقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ[2]

إن المتنبي لم ينسَ الخيل التي اشتركت في المعركة فيصفها هنا وصفاً جديداً يختلف عنه في قصائده الأخرىٰ، فهي خيل نشطة بارعة في تسلق قمم الجبال، حيث وكور جارحات الطير، ولكنه تسلق مبارك، ينثر الجثث التي تطعم فراخ العقبان، حتىٰ ظنت هذه الفراخ أن تلك الطير أمهاتها لسرعة تسلقها، وخفة حركتها، وهي خيل تؤدي جميع ضروب السير حسب المكان الذي تسير فيه حتىٰ أنها تزحف أحياناً علىٰ بطونها كما تزحف الحيّات علىٰ وجه الأرض.

تَدوسُ بكَ الخَيْلُ الوكورَ علىٰ الذُّرا ... وقد كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكُورِ المطاعِمُ
تَظُنُّ فِراخُ الفَتْخِ أنَّكَ زُرْتَها ... بأُمَّاتِها وهي العِتاقُ الصَّلادِمُ
إذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَها ببُطونها ... كما تَتَمشّىٰ في الصّعيد الأراقِمُ[3]

ثم ينهي الشاعر قصيدته بلغته إلىٰ الدمستق مليئة بالسخرية والهزء واصفاً حاله بالحماقة والجهل، لأنه لا يرعوي عن مُلاقاةِ الأمير المرّة بعد المرّة، وفي كل مرّة

---

(١) جناحان: جانبا العسكر الميمنة والميسرة.
الخوافي: أربع ريشات تتلو أربعاً قبلها من جناحي الطائر. مادة (خفىٰ) مختار الصحاح.
القوادم: أربع ريشات في أول جناحي الطير.
(٢) نثر: فرّق مادة (نثر) مختار الصحاح ص٦٤٥.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٨٧-٣٨٨.
(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٨٩.

يفقد عزيزاً، ويبعثر جيشاً، ففي المرة السابقة فقد ابنه، وفي هذه المرة فقد صهره وابن صهره، ولكنه مضىٰ شاكراً، ولكن شكره غير موجّه للأمير بل موجّه إلىٰ هؤلاء القتلىٰ من جيشه الذي شغلت رؤوسهم جيش سيف الدولة من رأس القائد نفسه، فيقول في جو مصحوب بالسخرية:

أفِي كُلّ يَوْم ذا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قفاهُ علىٰ الأقْدام للوَجْهِ لائِمُ
أيُنْكِرُ ريحَ الليْثِ حتّىٰ يذوقَهُ ... وقد عَرَفَتْ ريحَ اللُّيوثِ البهائِمُ
وقَدْ فَجَعْتَهُ بابْنِهِ وابْنِ صِهْرِهِ ... وبالصِّهْرِ حَملاتُ الأميرِ الغَوَاشِمُ
مَضَىٰ يَشْكُرُ الأصْحابَ في فَوْتِهِ الظُّبا ... بما شَغَلَتْها هامُهُمْ والمعاصِمُ
ويفْهُمُ صوتَ المَشْرفيّةِ فيهِمُ ... علىٰ أنّ أصواتَ السيوفِ أعاجِمُ[1]

وأبو الطيب المتنبي أول من وصف هذه الحروب مع البيزنطيين بأنها ليست حروباً خاصة بين ملك الروم وملوك العرب، ولكنها حرب بين الإسلام والشرك[2].

ولَسْتَ مَليكاً هازِماً لنظيرِهِ ... ولكنّكَ التوحيدُ للشِرْكِ هازِمُ[3]

إن هذه القصيدة تُعَدّ مثلاً أعلىٰ لشعر الحرب[4] لأن الشاعر لم يخرج فيها عن جادّة الموضوع لا من قريب ولا من بعيد، فلم يتغزّل ولم يفخر ولم يَهْجُ.

إن قصيدة الحدث دليل علىٰ سمو أسلوب المتنبي في الوصف الملحمي، وصدق عاطفته، وارتفاعه إلىٰ مستوىٰ المعركة[5].

إن قصيدة الحدث من أكثر قصائد المتنبي تحقيقاً للنفس الملحمي حيث ترتفع النفس الملحميّة في هذه القصيدة من بيت إلىٰ بيت فتكتمل لوحة بطولية

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٨٩-٣٩٠.
(٢) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٩٢.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩١.
(٤) مصطفىٰ الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص٤١٣.
(٥) خليل شرف الدين: الموسوعة الأدبية الميسرة ص١٣٠.

خارقة في نفس تصاعدي وحشد للصور البصرية ورؤيا تعتمد علىٰ الواقع الحسي لترتفع إلىٰ جو أسطوري[1].

إن شعر المتنبي في قصيدة معركة الحدث عبارة عن عدسة تصوير ناطقة تنقُل إليك صورة الجيشين المتحاربين في أحسن صورة[2].

حوادث سنة ٣٤٣هـ:

في هذا العام أرسل ملك الروم رسوله إلىٰ سيف الدولة من أجل الهدنة فحشد سيف الدولة للقائه جيوشاً حال ثقلها بالباب دون دخول أبي الطيب فلما أدخل أبو الطيب حيث كان الحفل، وصف السفير أنه قبّل الأرض ثم قبّل كم سيف الدولة.

يقول زكي المحاسني[3]: أجد هذا عند أبي الطيب تسجيلاً للطراز التي كان يسلّم به السفراء البيزنطيون علىٰ الملوك في القرن العاشر للميلاد وهو طراز السلام لدىٰ سفراء الفرنجة في القرون الوسطىٰ، ولكنهم لم يكونوا يقبلون الأرض، وإنما كانوا يرجعون خطوتين إلىٰ الوراء ووجوههم تلقاء الملوك الذين يؤدون التحية إليهم، ثم يمسّون الأرض بأطراف قبعاتهم ذوات الريش ثم يلوحون بها مَيْلاً مع الخطوتين الراجعتين لكن السفير البيزنطي قبّل الأرض قبل أن يقبّل كمّ سيف الدولة، فلما فعل ذلك السفير وقف المتنبي وقال القصيدة التالية التي مطلعها:

دُروعٌ لمَلْكِ الرُّومِ هَذي الرّسائِلُ يَرُدُّ بها عَنْ نَفْسِه ويُشاغِلُ[4]

وحين يتحدث الشاعر عن السفراء الذين يأتون بعد انكسار جيوشهم يلتمسون عبثاً هدنة من أمير مزهوّ بانتصاراته، لم تكن لديه كفاية من الكلمات المذّلة

---

(١) جورج عيد ومعتوق: المتنبي شاعر الشخصية العربية ص٩.

(٢) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص١٤٩.

(٣) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٨٧.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١١٢.

لتصوير موقفهم بدقة، فهم يرتعدون فرقاً، ولا يستطيعون المشي معتدلي القامة، تنظر أعينهم بفزع إلىٰ سيف الأمير، ولم يخفّوا طلب الهدنة، وإنما لالتماس العفو، إنه ميثاق حمية، ومن العظم أن تقول هذا تصوير لا يطابق الواقع.

أتاك يكاد الرّأس يجحد عُنْقَهُ ... وتنقدُّ تحت الذُّعْر[1] منهُ المفاصلُ
يُقَوّم تقويمَ السّماطينِ مَشْيَهُ ... إليكَ إذا ما عوَّجَتْهُ الأفاكِلُ[2]
فقاسَمَكَ العَيْنَيْن منهُ ولحْظَهُ ... سَمِيُّكَ والخِلُّ[3] الذي لا يزايلُ
وقبّل كُمّاً قبَّ التُربَ قَبْلَهُ ... وكلُّ كميٍّ واقفُ متضائِلُ[4]

ثم أخذ الشاعر يمنّ علىٰ رسول ملك الروم بتقبيل كم الأمير فقال:

مكانٌ تَمنّاهُ الشِّفاهُ ودونَهُ ... صُدورُ المذاكي والرّماحُ الذوابِلُ[5]

ولم يصرح أبو الطيب في هذه القصيدة بأن سيف الدولة مَنّ علىٰ الرسول بفكاك ابن قسطنطين فقبل سفارة الرسول، أو أنّ ابن قسطنطين كان سجيناً أو عزيزاً في أسره، أو أنه قضىٰ نحبه في ديار المسلمين، إلا أن بلاشير[6] قال: أن ابن نسيفور فوكاس مات.

وأخيراً يقول: إنّ الروم أرسلوا رسولهم راجين إجابتهم إلىٰ الصلح، وقد جاؤوا إليك ذليلين، لذلك لا تحتاج في أسرهم إلىٰ السلاسل.

---

(١) الذعر: الفزع. مادة (ذعر) مختار الصحاح للرازي ص٢٢٢.
(٢) السماطين: صفان من الجند كانا بين يدي سيف الدولة جـ ١ ص١١٣.
الأفاكل: جمع أفكل، الرعدة تعرض عند الفزع.
(٣) الخلّ: الخليل ويقال للسيف خل وخليل.
(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١١٣ ـ ١١٤.
(٥) المذاكي من الخيل: التي كملت أسنانها. الواحدة: مذك.
الذوابل من الرماح: اليابسة العوالي.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣.
(٦) بلاشير: أبو الطيب المتنبي ص١٧٩.

رَجا الرّومُ من تُرجَى النّوافِلُ كُلُّها لـديـه ولا تُـرجـي إليـه الطَّـوَائـلُ
فإنْ كانَ خَوْفُ القَتْل والأسْرِ ساقَهُمُ فقد فَعَلُوا ما القَتْلُ والأسْرُ فاعلُ
فَخَـافُـوكَ حتّـىٰ مـا لِقَتْـلٍ زيـادةٌ وجاؤوكَ حتّىٰ ما تُزادُ السَّلاسِلُ[1]

حوادث سنة ٣٤٣هـ:

جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم، ولم يصل إليه المتنبي لزحام الناس فعاتبه سيف الدولة علىٰ تأخره فقال ارتجالاً:

ظُلْـمٌ لـذا اليـومِ وصْـفٌ قبـلَ رُؤْيَتِـهِ لا يَصْدُقُ الوَصْفُ حتّىٰ يَصْدُقَ النَّظَرُ[2]

أي إنَّ وصفي لهذا اليوم دون أن أُشاهد ما جرىٰ فيه ظلم له، لأنّ صدق الوصف موقوف علىٰ صدق النظر، فإذا لم أَكُنْ صادقَ النظر بالعيان والمشاهدة، لم أكُن صادق الوصف، ثم ينتقل للحديث عن الروم فيقول:

اليـوْمَ يـرفَـعَ ملْـكُ الـرُّوم نـاظِـرَهُ لأنَّ عَفْـوَكَ عنـهُ عِنْـدَهُ ظَفَـرُ
وإنْ أجَبْـتَ بشـيءٍ عَـنْ رسَـالَتِـه فمـا يـزالُ علـىٰ الأمـلاكِ يَفْتَخِـرُ
قـد ٱسْتـراحَـتْ إلـىٰ وَقْـتٍ رِقـابُهُـمُ مـن السُّيـوفِ وبـاقـي القَـوْمِ يَنْتَظِـرُ
وقـد تُبَـدِّلُهـا بـالقَـوْمِ غَيْـرَهُـمُ لكي تَجِمَّ رُؤوسُ القَوْمِ والقَصَرُ[3]

أحداث سنة ٣٤٤هـ، ٩٥٥م[4]:

وردَ علىٰ سيف الدولة الخبر آخر النهار يوم الثلاثاء لست خَلَوْن من جمادىٰ الأولىٰ سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بأنّ الدُّمُسْتقَ وجيوش النصرانية قد نازلت ثغر

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١١٦.
(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٩٨.
(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص٩٩.
(٤) سامي الكيالي: سيف الدولة ودولة الحمدانيين ص٢١٦-٢١٨.
البرقوتي: جـ٣ ص٢٥٣.
زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٩٣.
بلاشير: أبو الطيب المتنبي ص٣١٧.

الحدث في يوم الأحد، ونصبوا عليه مكايد، وقدّروا أنّها فرصةٌ فيه لما تداخل أهله من القلق والانزعاج والوصم في تمام بنائه علىٰ يد سيف الدولة، ولأنّ ملكهم قد ألزمهم قصده، وأنجدهم بأصناف الكُفْر من البلغار والروس والصقلب وغيرهم، وأنفذ معهم العدد الكثير والعِدد الوفيرة، فركب سيف الدولة لوقته نافراً، وانتقل إلىٰ غير الموضع الذي كان فيه ونظر فيما يجب النظر فيه في ليلته، وصار عن حلب غداة يوم الأربعاء لسبع خَلَوْن فنزل «رعبان» وأخبار الحدث مستعجمة عليه لضبطهم الطرق وتقديرهم أن يخفىٰ عليه خبرهم فلمّا أسْحَر، لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك وسار زحْفاً، فلمّا قَرُبَ من الحدث عادت إليه الطلائع بأنَّ عدو الله لمّا أشرفَتْ عليه خيول سيف الدولة علىٰ عقبة تسمىٰ «العبراني» أو «العبري» رحل ولم يستقر به دار وامتنع أهلُ الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرُسل، فنزل سيف الدولة بظاهره، وأتَتْهُم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلىٰ «حصن رُعْبان» ووقعت الضجة، وظهر الاضطراب، وولّىٰ كلّ فريق علىٰ وجهه، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم، وأخذوا آلة حربهم وأعدوه في حصنهم فقال أبو الطّيّب:

ذي المعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تعالىٰ هكذا هكذا وإلاّ فلا لا[1]

كان بناء الحدث الحمراء وتملك المسلمين لحصنها شوكةً في جنب الروم لأنها باب الطريق إلىٰ القسطنطينية، فجاء جيشهم سنة ٣٤٤هـ إلىٰ الإغارة عليها بقيادة ابن ملكهم «ليون» فوصف أبو الطّيّب سرية الروم هذه وما دار عليها من الأقدار التي دارت قبلها علىٰ آباء الروم وأحوالهم فقال:

لا ألومُ ابنَ لاوِنٍ مَلِكَ الرّو مِ وإنْ كان ما تَمَنَّىٰ مُحَالا
أقلقتْهُ بَنِيَّةٌ بينَ أُذْنَيْـ ـهِ وبانٍ بغىٰ السَّماءَ فَنَالا
يجمعُ الرّومَ والصقالبَ والبُلْـ ـغَرَ فيها وتَجْمَعُ الآجَالا

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٣٤.

نـــزلـــوا فـــي مَصَـــارِعِ عـــرفُـــوهـــا يَنْـــدُبُـــونَ الأَعْمَـــامَ والأخْـــوَالا[1]

إنّ الروم لم ينسوا ما أصابهم من خسارةٍ فادحةٍ في هذا المكان قبل عام أي عام ٣٤٣هـ في الحدث، ونظراً لشدة خوفهم منك، رأوا الطّعْن متتابعاً في قلوبهم:

تحمِـلُ الـرّيـحُ بينَهُـمْ شَعَـرَ الهـا مِ وتُـــذري عليهـــمُ الأَوْصَـــالا[2]
تُنْـذِرُ الجِسْـمَ أنْ يُقيـمَ لـديهـا وتُـــريـــهِ لكـــلّ عُضْـــوٍ مِثـــالا
أَبْصَـرُوا الطّعْـنَ فـي القلـوبِ دِراكـاً قَبْـلَ أنْ يُبْصـروا الـرّمـاحَ خَيَـالا
وإذا حـــاولَـــتْ طِعـــانَـــكَ خَيْـــلٌ أبصـــرْتَ أذْرُعَ القنـــا أَمْيَـــالا[3]

إن الخوفَ سيطر علىٰ قلوب الرّوم فانتشر وشاع فيهم، فكأنه بسط يمينه في ميامن عسكرهم، وشماله في مياسرهم حتىٰ انهزموا، لقد أصيبت أيدي الروم بالارتعاش من شدّة الخوف، فصار السّلاحُ يسقطُ من بينِ أيديهم من شدّة خوفهم إن الخوفَ غيَّرَ وجوه الروم وأذهب جمالها.

بَسَـطَ الـرُّعْـبُ فـي اليميـنِ يَمينـاً فَتَـولَّـوْا وفـي الشِّمـالِ شِمـالا
ينْقُـضُ الـرَّوْعُ أيْـدِيـاً ليـس تَـدْري أسُيُـوفـاً حَمَلْـنَ أمْ أغْـلالا[4]
وَوُجُـوهـاً أخَـافَهـا مِنْـكَ وَجْـهٌ تَـرَكَـتْ حُسْنَهـا لـه والجَمَـالا[5]

لقد فر الروم من المعركة، وكانوا قد تكلفوا كثيراً نتيجة غزوهم، لقد ظنوا أنّهم قادرون علىٰ ملاقاة المسلمين وقتالهم، فلمّا قصدوا محاربتك انهزموا وعاينوا قصورهم فأزال العيان ما كان الظنّ يحدث لهم.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٣٧-١٤٠.

(٢) تذرىٰ: تنثر، تفرق، مادة (ذرىٰ). مختار الصحاح ص٢٢٢.
الأوصال: جمع وصل ويريد به العضو. مادة (وصل) مختار الصحاح ص٧٢٥.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٤٠-١٤١.

(٤) الأغلال: جمع غلّ وهو رباط تشد به اليد إلىٰ العنق. مادة (غلل) لسان العرب جـ٢ ص١٠٠٨.

(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٤٢.

إنَّ الرومَ جبناء في قتالِهم للمسلمين فهم لا يستطيعون الصُّمود أمامهم لأنّ المسملين يقاتلون من أجْلِ إعلاء كلمة الله، وأمّا الروم فقتالهم من أجْل الطاغوت، لقد أقْسَم الرّوم أنْ يُحْضروا عقولهم، ويَعْملوا أفكارهم في قتالك، فماذا كانت النتيجة، أفنيتَ جيوشَهم وأتلفْتَ نفوسَهم.

والعِيانُ الجَلِيُّ يُحْدِثُ للظَّنِّ ... زوالاً وللمُرادِ انْتقالا
وإذا ما خَلا الجبانُ بأرْضٍ ... طَلَبَ الطَّعْنَ وحدَهُ والنِّزالا
أقْسَموا لا رأوْكَ إلا بِقَلْبٍ ... طالَما غرَّتِ العُيونُ الرِّجالا[1]

إن هذا اللعين لم يشك في أنَّك تغلب جيشه فتتحكم فيه وتأخذه وتتملكه وتشتت أهله بالقتل والأسر، إنّ اللهَ تكفل لك عليه بالنصر.

ما يشك اللعين في أخذك الجيش ... فهل يبعث الجيوش نوالا[2]

وأخيراً يصف جيش المسلمين فيقول:

في خميسٍ من الأسودِ بَئيسٍ ... يَفْتَرِسْنَ النُّفوسَ والأمْوالا
وظُبىً تعرفُ الحرامَ من الحِلِّ ... فَقَدْ أفنَتِ الدماءَ حلالا[3]

حوادث سنة ٣٤٤هـ:

ورد رسول ملك الروم بطلب الهدنة من سيف الدولة، فأنشد المتنبي هذه القصيدة بحضرتهم، وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربعٍ وأربعين وثلاثمائة للهجرة ومطلعها:

أراعَ كذا كُلَّ الملوكِ هُمامُ ... وسحَّ له رُسُلَ الملوكِ غَمامُ[4]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص١٤٣.
(٢) نفس المصدر جـ٣ ص١٤٤.
(٣) نفس المصدر جـ٣ ص١٤٦.
(٤) أراع: أفزع. الهمام: الملك العظيم الهمة. الغمام: السحاب.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩٣.

إنّ الأميرَ المجاهدَ سيفُ الدولة كان المحور الأول في شعر المتنبي الذي يدور عليه محور شعر الجهاد ولهذا ركّز عليه، ووجه نحوه أضواءَهُ ولعلّ أفضل صفة يتحلّىٰ بها الفارس في الحرب أنّه يخوضُ المعاركَ دون خوفٍ ويضربُ الأعناقَ وثغره باسم.

إذا زارَ سيفُ الدولةِ الرومَ غازِياً كفاها لمامٌ لو كَفاهُ لِمامُ[1]

يخاطب الشاعر الأمير سيف الدولة فيقول له: إنّ رسل ملك الروم تنام آمنة عندك بسبب إحسانك إليهم، أمّا الذين بعثوهم فلا يعرفون طعم النّوم خوفاً منك لأنّهم يحذرون ملكاً شديداً بأسُه، قوياً جيشه، تتسابق فرسانه إلىٰ الحربِ طمعاً في الشهادة في سبيل الله.

تنامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أمْناً وَغِبْطَةً وأَجْفانُ ربّ الرُّسْلِ ليسَ تنامُ
حِذاراً لِمُعْرَوْري الجيادِ فُجاءَةً إلىٰ الطّعْنِ قُبْلاً ما لهُنَّ لِجامُ[2]

ثم يطلب من أميره قبول طلب الهدنة من الروم الذين ٱستجاروا به وجاؤوا إليه بذلّة، فاختيار العزيز للذل هو الذّل.

إذا خافَ مَلْكٌ من مَليكٍ أجرْتَهُ وسيْفَكَ خافُوا والجوارَ تُسامُ
لهم عنْكَ بالبيضِ الخِفافِ تفرُّقٌ وحوْلَكَ بالكُتْبِ اللِّطافِ زِحامُ
تغُرُّ حلاواتُ النُّفوسِ قُلُوبها فتَخْتارُ بعض العَيْشِ وهو حِمامُ[3]

إنّ الرومَ جاؤوا إليك أيها الأمير من أجْلِ الهدنة، أي لتؤخرَ عنهم الحرب أياماً وهذا أكبر ذلّ وامتهانة لهم، لقد وافقتَ وأخرت الحربَ عنهم شفاعة فرسان طرطوس لهم، لقد قصدوك مستسلمين ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا عنك ناكصين علىٰ أعقابهم.

---

(١) اللمام: الزيارة القصيرة. مادة (لمّ) مختار الصحاح ص٦٠.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩٣.
(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩٣-٣٩٤.
(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩٤-٣٩٥.

فلو كانَ صُلْحاً لمْ يكن بشفاعَةٍ ... ولكنَّه ذُلٌّ لَهُمْ وغَرَامُ[1]
ومَنْ لِفُرسانِ الثُّغُورِ عليهمُ ... بتبليغِهم ما لا يَكَادُ يُرامُ
كتائِبُ جاؤوا خاضعينَ فأقْدَمُوا ... ولو لَمْ يكونوا خاضعينَ لخَامُوا
وعزَّتْ قديماً في ذَراكَ خُيُولُهمْ ... وعزُّوا وعامَتْ في نداكَ وعامُوا[2]

لقد تعود الرّوم إحسانك أيّها الأمير، لذلك فإنّهم لمحبتك يصلّون عليك ويسلّمون، وإنْ كنتَ تغير عليهم تعجباً لحسن وجهك الميمون علىٰ الإسلام وأهله فالكرام يعتدون بأمثالك، وإنّك أيها الأمير إمام أهل المكرمات.

علىٰ وَجْهِكَ الميمونِ في كلِّ غارةٍ ... صلاةٌ تَوَالى منهُمُ وسلامُ[3]
وكلُّ أناسٍ يَتْبَعُون إمامَهُمْ ... وأنتَ لأهل المَكْرُمَاتِ إمامُ[4]

إذا عاد الروم الذين تركوا ديارهم خوفاً منك بالهدنة التي أجبتهم إليها، وعاودت أنت تلك الأرض بالغزو، فألفيت فيها جماعات تعمل سيوفك في رقابهم وتسبي من نسائهم قسماً آخر:

متىٰ عاود الجالون[5] عاودتَ أرْضَهُمْ ... وفيها رقابٌ للسُّيُوفِ وَهَامُ
وزَبُّوا لكَ الأولادَ حتّىٰ تُصيبَها ... وقد كَعَبَتْ بِنْتٌ وشَبَّ غُلامُ[6]
جرىٰ معك الجَارُون حتىٰ إذا انتَهَوْا ... إلىٰ الغاية القصوىٰ جَرَيْتَ وقامُوا[7]

---

(١) الغرام: الشر الدائم. مادة (غرم) مختار الصحاح. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.
(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩٥-٣٩٦.
(٣) الميمون: ذو اليمن والبركة.
الغارة: الحرب.
الصلاة: الرحمة:
السلام: البركة.
(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩٦.
(٥) الجالون: الذين أخرجوا من ديارهم. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾.
(٦) الكاعب: التي قد بدأ ثدييها بالنهود. مادة (كعب) مختار الصحاح ص٢٧٢.
(٧) القصوىٰ: البعيدة.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩٨.

حوادث عام ٣٤٥هـ:

خرج سيف الدولة للحرب، ووطأ من أرض الروم موطئاً لم يطأه المسلمون منذ ثلاثين عاماً[١]، غزا سيف الدولة «بطن هنزيط» وفتح «تل بطريق» علىٰ الفرات وهزم «ابن شمشقيق» وقتل «رومانوس بن البلنطس» صهر «ابن شمشقيق» ثم عاد إلىٰ حلب بعد رحلة مظفرة ناجحة محملاً بالغنائم والأسرىٰ من عظماء الروم وقادتهم مثل «الرست بن البلنطس» و«لاون بن الاسطر أطفيوس»[٢]، فيطرب المتنبي لذلك وينشد سيف الدولة عند منصرفه من بلاد الروم هذه القصيدة التي مطلعها:

الـرَّأْيُ قَبْـلَ شَجَـاعَـةِ الشُّجْعَـانِ هُـوَ أَوَّلٌ وَهْـيَ المَحَـلُّ الثَّـانـي[٣]

هذه القصيدة لا تقلُّ من حيث جَوْدة وصف المواقع ونعت الخيل عن أخواتها من شعر الشاعر، بل ربما زادت عليها في تعداد الصور والأهداف بالأفكار، حيث بدأها بالحكمة، ثم وصف الجياد علىٰ عادته، ثم وصف المعارك التي حدثت بين الجانبين، وزاد في هذه القصيدة وصف السفن، فضلاً عمّا أضفاه عليها من معانٍ رقيقة، وأوصاف بارعة تبلغ حد الإعجاز، بالإضافة إلىٰ قافية موسيقية استهل الشاعر قصيدته بذكر أبيات من الحكمة فضّل فيها العقل علىٰ الشجاعة والرأي علىٰ القوة فإن اجتمع لإنسان رأي سليم وقوة بدنية أمكن له أن يبلغ أسمىٰ المراتب وأرفع الدرجات، وألحّ الشاعر علىٰ تفضيل العقل الذي لولاه لكانت بعض الحيوانات القوية أكرم من الإنسان وأفضل منه.

الـرَّأْيُ قَبْـلَ شَجَـاعَـةِ الشُّجْعَـانِ هُـوَ أَوَّلٌ وَهْـيَ المَحَـلُّ الثَـانـي
فـإذا هُمـا اجْتَمعـا لِنَفْـسٍ مِـرَّةٍ[٤] بَلَغَـتْ مِـن العَلْيَـاء كُـلَّ مكـانِ

---

(١) سامي الكيالي: سيف الدولة الحمداني وعصر الحمدانيين ص٥٨.

(٢) مصطفىٰ الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص٦٠٠.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٧٤.

(٤) النفس المرّة: القوية الشديدة، أي لا تقبل الضيم. قال تعالىٰ: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦].

ولـرُبّمـا طَعَـنَ الفَتـىٰ أقْـرانَـهُ بـالـرَّأْيِ قَبْـلَ تَطـاعُـنِ الأقْـرَانِ
لـولا العُقُـولُ لكـانَ أَدْنـىٰ ضَيْغَـمٍ أَدْنـىٰ إلـىٰ شَـرَفٍ مـن الإنسـانِ[1]

بعد ذلك انتقل الشاعر إلىٰ وصف خيل القتال، فذكر أنَّ الأمير قادها إلىٰ بلاد الأعداء التي صارت لها كالأوطان لكثرة ما تعوّدت التردد عليها، وأنها خيل جميلة المنظر، ملمّةٌ بآداب القتال، مدرّبة علىٰ خوض المعارك، تسير في ظلمة الغبار فتعرف طريقها وكأنها تبصر بآذانها لا بعيونها.

قـادَ الجيـادَ إلـىٰ الطّعـانِ ولـم يقُـدْ إلاّ إلـــىٰ العَـــادَاتِ والأَوْطَـــانِ
كـلُّ ابـنِ سـابقـةٍ[2] يُغيـرُ بحُسْنِـهِ فـي قَلْـبِ صـاحِبِـهِ علـىٰ الأحْـزانِ
إنْ خُلِّيَـتْ رُبِطَـتْ بـآدابِ الـوَغـىٰ فَـدُعَـاؤُهـا يُغْنـي عـن الأرْسَـانِ[3]
فـي جَحْفَـلٍ سَتَـرَ العُيـونَ غُبـارُهُ فكـــأنّمـــا يُبْصِـــرْنَ بـــالآذانِ[4]

ثم مضىٰ الشاعر علىٰ رسله في إظهار براعة هذه الخيول السريعة غاية السرعة حتىٰ كأنها تكاد تصل بأيديها إلىٰ صميم بلاد الروم ولم تزل أرجلها في بلاد سيف الدولة، ثم وصف منظر الخيل وهي تعبر نهر «أرسناس» بالشام ذلك النهر الشديد البرودة الذي لا تهابه الخيل بل تقتحمه سابحات وعلىٰ ظهورها الأبطال المجاهدون وقد بدت عمائمهم منتشرة في الهواء وعلىٰ الماء لسرعتها الفائقة، كما وصف الخيل وهي تقفز من شدّة البرودة في أديم الماء الذي داعبه الريح، فجعله متكسراً كالمُدىٰ، فإذا ما خرجت منه بدت متقلصة كأنها خصيان فلا يفوت الشاعر أنْ يصف النهر بالبياض المفضض حين ذهاب الأمير وبالصفرة المحمرة حال عودته لكثرة ما اختلط به من دماء الأعداء الكفار.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٧٤.
(٢) ابن سابقة: فرساً ولدته سابقة من كرام الخيل.
(٣) الوغىٰ: الحرب.
الأرسان: جمع رسن وهو ما يكون في رأس الدابة.
(٤) جحفل: جيش عظيم، مأخوذ من تجحفل القوم، اجتمعوا، ورجل جحفل: عظيم القدر.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٧٦.

فكـــأن أرجُلَهـــا بتُـــربـــةِ مَنْبِـــجٍ يَطْـرَحْـنَ أيـديَهـا بحِصْـنِ الـرَّانِ[1]
حتّـىٰ عَبَـرْنَ بـأرسنـاسَ[2] سَـوَابِحَـاً يَنْشُـرْنَ فيـه عمـائِـمَ الفُـرْسَـانِ
يَقْمُصْـنَ فـي مثـل المُـدىٰ مـن بـاردٍ يَـذَرُ الفحـولَ وهُـنَّ كـالخِصْيـانِ[3]
والمـاءُ بيـنَ عَجَـاجَتَيْـنِ مُخلِّـصٌ تَتَفـــرّقـــانِ بـــه وتَلْتَقِيَـــانِ
رَكَـضَ الأميـرُ وكـاللُّجَيْـنِ حَبَـابُـهُ وثَنـىٰ الأعنَّـةَ وَهْـوَ كـالعِقْيـانِ[4]

ويعرض الشاعر للسفن التي بناها الأمير سيف الدولة واستعملها في نقل الغنائم والسبايا ويشبهها بالخيل إلا أنها سوداء عقيمة لا قوائم لها تسير في بحر طالما ذاق متاعب الغزو والهزيمة من الأعداء، فأصبح يثني علىٰ سيف الدولة ويمجده لما ردّ له من كرامته وكرامة أهله.

فَتَـلَ الحبَـالَ مـن الغـدائِـرِ فـوقَـهُ وبنـىٰ السَّفِيـنَ لَـهُ مِـنَ الصُّلْبـانِ[5]
وحَشَـاهُ عـادِيـةً بغَيْـرِ قـوائِـمٍ عُقْـمَ البُطُـونِ حَـوالِـكَ الألْـوَانِ[6]
تـأتـي بمـا سَبَـتِ الخيـولُ كـأنهـا تحـتَ الحسـانِ مـرابِـضُ الغِـزْلانِ

---

(١) منبج: بلدة في الشام من أعمال حلب.
حصن الران: من بلاد الروم.
(٢) أرسناس: نهر بالشام بارد الماء جداً.
(٣) يقمصن: يثبن، مادة (قمص) مختار الصحاح.
المدىٰ: جمع مدية وهي السكين.
خصيان: جمع خصىٰ من الخيل
(٤) اللجين: الفضة.
العقيان: الذهب.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٧٧-١٧٨.
(٥) الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة من الشعر.
الصلبان: جمع صليب وهو الذي تعظمه النصارىٰ.
(٦) العقيم: الذي لا يلد. مادة (عقم).
الحوالك: جمع حالكة وهي السوداء. مادة (حلك).

بَحْـــرٌ تعَـــوّد أن يُـــذِمَّ لأهْلِـــهِ مِـــنْ دَهْـــرِهِ وطـــوارِقِ الحِـــدْثـــانِ
فتـــرْكْتَـــهُ وإذا أذَمَّ مـــن الـــوَرىٰ راعـــاكَ واستثنـــىٰ بَنـــي حَمْـــدانِ[1]

ولأول مرة يصف المتنبي سيف الدولة وبني حمدان بالصَّعلكة وهو وصف فيه جدّة وجرأة لأن الصعاليك كما هو معروف كانوا من فتيان العرب وشجعانهم الذين اشتهروا بالفروسية وسرعة العدو، وكانوا يغيرون علىٰ القبائل الغنية فيغنمون ويسلبون، ولكنهم لا يحتفظون لأنفسهم إلا بالقليل ويوزّعون الباقي علىٰ الفقراء من العرب، والمتنبي حين وصف بني حمدان بالصّعلكة إنّما استعار لهم شجاعة الصعاليك، وما امتازوا به من صفات البطولة دون السلب والنهب، فإن سلبوا ونهبوا فإنما يسلبون الأعداء وينهبون الروم، وهم لشدّة صعلكتهم لا يكادون يتركون ظهور جيادهم إلا لكي يتقيّلوا في ظلالها ثم لا يلبثوا أن يمتطوا صهوان جيادهم فتعدو بهم عدو النعام وتجري بهم جري الذئاب.

المُخْفـــريـــنَ بكُـــلِّ أَبْيَـــضَ صـــارِمٍ ذِمـــمَ الـــدُّرُوعِ علـــىٰ ذوي التِّيجـــانِ
مُتَصَعْلكيـــنَ علـــىٰ كثـــافـــةِ مُلْكِهـــمْ مُتـــواضعيـــنَ علـــىٰ عَظيـــمِ الشّـــانِ
يتقيّلُـــونَ ظِـــلالَ كـــلّ مُطَهَّـــمٍ أَجَـــلِ الظَّليـــمِ ورِبْقَـــة السِّـــرْحـــانِ[2]

لقد ذلت لسيفك كل السيوف وأذلّ دينك كل دين.

خَضَعَـــتْ لِمُنْصُلِـــكَ المنـــاصِـــلُ عنـــوةً وأَذَلَّ دينُـــكَ ســـائِـــرَ الأَدْيَـــانِ[3]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ١٧٨-١٧٩.

(٢) المطهم: الفرس التام كل شيء منه علىٰ حدته، أي بارع الجمال.
الظليم: ذكر النعام.
السرحان: الذئب.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٧٩.

(٣) المنصل: السيف.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٨٠.

ويمضي الشاعر في وصف المسلمين علىٰ خيولهم وفي مقدمتهم الأمير المجاهد سيف الدولة كأنّهم العقبان يضربون أعداءهم بقوة وعنف فتتساقط الرؤوس، وتنثني الهامات من شدة الضرب الذي ينزل عليهم كأنه المطر.

نَظَرُوا إلىٰ زُبَرِ[1] الحديدِ كأنّما ... يصْعَدْنَ بينَ مناكِبِ العِقْبانِ
وفوارسٍ يُحْيي الحِمامُ نُفُوسَها ... فكأنّها ليْسَتْ مِنَ الحيَوانِ
ما زِلْتَ تضربُهُمْ دراكاً في الذُّرىٰ[2] ... ضَرْباً كأنَّ السَّيْفَ فيه أثنانِ
خَصَّ الجَمَاجِمَ والوُجُوهَ كأنّما ... جاءتْ إليكَ جسومُهُم بأَمانِ
فرَمَوْا ما يَرْمونَ عَنْه وأدبَروا ... يطؤونَ كلَّ حَنِيَّةٍ[3] مِرْنانِ
يَغْشَاهُمُ مطرُ السّحاب مُفَصَّلاً ... بِمُثَقَّفٍ ومُهَنَّدٍ وسِنَانِ[4]
حُرِموا الذي أمَلوا وأدْرَكَ منهمُ ... آمالَهُ مَنْ عاذَ بالحِرْمانِ[5]

ثم يصف الشاعر الروم بالجبن والخور وعدم إجادة الضرب حتىٰ سالت دماؤهم علىٰ أوراق الشجر التي يشبهها الشاعر بثمر النارنج:

وجرىٰ علىٰ الوَرَقِ النّجيعُ القاني ... فكأنَّهُ النارَنْجُ في الأغْصَانِ
إن السّيوفَ مع الذينَ قلوبُهُمْ ... كقُلوبِهِنَّ إذا التقىٰ الجَمْعَانِ
نَلْقىٰ الحُسامَ علىٰ جَراءَةِ حدّهِ ... مِثْلَ الجَبانِ بكَفِّ كُلِّ جَبانِ[6]

هكذا انتهىٰ المتنبي من هذه الملحمة وقد لمسنا ذلك الوصف البارع لحرب سيف الدولة مع الروم بما فيه من دقّة وبراعة حيث ينقل المعركة بكل ما فيها من

---

(١) الزبر: جمع زبرة وهي القطعة من الحديد.
(٢) الذرىٰ: المكان المرتفع.
(٣) الحنية: القوس.
(٤) المثقف: الرمح.
المهند: السيف.
(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٨١-١٨٢.
(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٤.

شدّة وعنف ودماء وتقتيل، ونصر وهزيمة، وفَرٌّ وَكرٌّ، ينقل كل ذلك تحت نظر القارىء حتىٰ يظن نفسه مشتركاً فيها أو علىٰ الأقل مشاهداً لها من مكان أمين.

حوادث عام ٣٤٥هـ «معركة الدرب»[١]:

لئن كانت معركة «الدرب» هي آخر معركة وصفها المتنبي لسيف الدولة مع الروم وكانت قصيدته هي آخر قصيدة في سيف الدولة قبل رحيل الشاعر من حلب، فقد وفّر الدهر علىٰ أبي الطيب كبرىٰ حوادثه، وأفدح خطوبه، إذ نجىٰ عينيه أن تشهدا انكسار الأمير ودوران الدائرة عليه وعلىٰ جيوشه.

توغل الأمير سيف الدولة في الأراضي البيزنطية في هذه السنة ٣٤٥هـ في جُمادىٰ الآخرة مع أهل الثغور، فوصل إلىٰ «خرشنة» و«صارخة» وفتح عدة حصون وأسر وأحرق، وأكثر القتل، ورجع إلىٰ «أذنة»[٢] وأقام فيها فجاءه والي طرسوس فخلع عليه وأكرمه وعاد إلىٰ حلب.

وسبب هذه القصيدة تحدث بحضرة سيف الدولة أنّ البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أنْ ينجده ببطارقته وعَدده وعُدده وفعل فخاب ظنه.

بدأ الشاعر القصيدة بالحكمة فلام من يقسم لعقبىٰ الحرب لأن عقباها مجهولة.

عُقْبىٰ اليَمينِ علىٰ عُقْبىٰ الوغَىٰ نَدَمُ ماذا يزيدُكَ في إقْدامِكَ القَسَمُ[٣]

يذكر المتنبي البطريق الذي أحنث يمينه لسيف الدولة، فقال وقد صغّر اسمه هواناً فجعله شميشق.

---

(١) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص٢٩٣.
سامي الكيالي: سيف الدولة الحمداني وعصر الحمدانيين ص٢٢٦.
أحمد صالح فاعور: الدولة الحمدانية في حلب ص١٧٨.

(٢) أذنة: مدينة تقع غربي نهر سيحان خصبة عامرة.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٥.

أَلَ الفَتىٰ ابنُ شُمْشُقيقٍ فأحنَثَهُ فتىً من الضَرْبِ تُنْسىٰ عندَهُ الكَلِمُ[1]

ثم أخذ الشاعر يصف جيش الأمير في هبوبه إلىٰ هذه الحرب حيث افتتحت «سروج» عند الصباح وكذلك «حرّان» وكان جيش سيف الدولة يطاول الأرض بطوله وجسامته، وكان الجيش مزوداً بخيول ضوامر، وبفرسان أبطال، وقد وردت هذه الخيول بفرسانها «بحيرة سمنين» واستولت عليها.

فلمْ تُتِمَّ سَروجٌ فَتْحَ ناظِرِها إلاّ وجيْشُكَ في جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ[2]
والنّقْعُ يأْخُذُ حرّاناً وبَقْعَتها والشَّمْسُ تُسْفِرُ أحياناً تَلْتَثِمُ[3]
سُحْبٌ تمرُّ بحِصْنِ الرّانِ مُمْسِكةً وما بها البُخْلُ لولا أنّها نِقَمُ
جيشٌ كأنّك في أرْضٍ تُطاوِلُهُ فالأرضُ لا أُمَمٌ والجَيْشُ لا أُمَمُ
وشُزَّبٌ أحْمَتِ الشِّعرىٰ شكائِمَها ووسَّمَتْها علىٰ أنافِها الحَكَمُ[4]
حتىٰ وَرَدْنَ بِسِمْنينٍ بُحَيْرَتَها تنشُّ بالماء في أشراقِها اللُّجُمُ[5]
وأصْبَحَتْ بِقُرَىٰ هِنْزيطَ جائلةً تَرعىٰ الظُّبا في خَصيبٍ نبْتُه اللِّمَمُ[6]

أغذّت الجيوش الإسلامية سيرها حتىٰ جاوزت نهر أرسناس، فأمرَ سيف الدولة جيشه أنْ يخوضَ النهر، وبالمَنْظَرِ الموج وهو ينكشف عن صدور الخيل فيجفل

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٥.

(٢) سروج: موضع بالقرب من الفرات.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٨.

(٤) شزب: الفرس الضامر.
الشعرىٰ: نجم يطلع في فصل الصيف وفيه يكون شدة الحر.
الشكائم: جمع شكيمة وهي رأس اللجام.
الحكم: جمع حكمة وهو ما علىٰ أنف الفرس.

(٥) النش: صوت الماء. مادة (نشّ).
اللجم: جمع لجام وهو الحديدة التي توضع في شدق الدابة. مادة (لجم) مختار الصحاح ص٥٩٣.

(٦) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص١٨-٢٠.

منها وهي لا تجفل منه، لقد كان سيف الدولة أول الخائضينَ في نهر «أرسناس» يعبر بالجيش إلىٰ بلد مقدور عليه الحريق، وقتل أهل البلد فصاروا عظاماً بالية.

وجاوَزُوا أرْسَناساً مُعْصِمينَ به ... وكيفَ يعْصِمُهُمْ ما لَيْسَ ينْعَصِمُ
ولا تصدُّكَ عن بحْرٍ لهمْ سَعَةٌ ... ولا يرُدّكَ عن طَوْدٍ لهمْ شَمَمُ[1]
ضَرَبْتَهُ بصدورِ الخيلِ حاملةً ... قَوْماً إذا تَلفوا قُدْما فقد سَلِموا
تَجَفَّلَ الموجُ عنْ لَبَاتِ خَيْلهمِ ... كما تجفَّلُ تحت الغارَةِ النَّعَمُ
عبرْتَ تقدُمُهُمْ فيه وفي بَلَدٍ ... سُكانُه رِمَمٌ مسكونُها حُمَمُ[2]

ثم يعرض لنا صورة فنية من معانيه الحماسية فيجعل السيوف في أكف الحمدانيين ناراً عبدت قبل أنْ يكون المجوس وما زالت إلىٰ اليوم في اضطرام، أي إنّ عمر السيوف وتاريخها في دهر الحروب يعبدها الأبطال كما يعبد النار المجوس. وأنّ هذه السيوف من صغرته صغُر، ومن عظمته عظم، إن السيوفَ قتلت الأبطال وأخذتَ أنت النساء والصبيان سبياً.

وفي أكُفِّهِمُ النارُ التي عُبِدَتْ ... قُبَيْلَ المجوسِ إلىٰ ذا اليوم تَضْطرِمُ
هِنْديَّةٌ إنْ تُصَغِّرْ مَعْشَراً صغُروا ... بحدّها أو تُعَظِّمُ معشراً عظُمُوا
قاسَمْتَها تَلَّ بِطْريقٍ فكان لها ... أبطالُها ولكَ الأطفالُ والحُرَمُ[3]

ثم يسري خياله إلىٰ وصف الجياد، ووصف السفن التي أعدها سيف الدولة ليمض عليها بعض الجنود، فيقول إنها سفنٌ أعدّها مهندسون حربيون بأرض الروم حين دعت إليها الحاجة فجأة فكانت من نتاج رأيه، فحملت الفرسان في بطونها لا علىٰ ظهورها.

---

(١) الطود: الجبل.
شمم: العلو.
(٢) الرمم: العظام البالية.
العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢١.
(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٢.

دُهْمٌ فوارِسُها رُكابُ أبْطِنُها مكدودةٌ وبقَوْمٍ لا بها الألَمُ
مِنَ الجيادِ التي كِدْتَ العُدُوَّ بها وما لها خِلَقٌ مِنْها ولا شِيَمُ
نِتَاجُ رأْيِكَ في وَقْتٍ علىٰ عَجَلٍ كَلَفْظِ حَرْفٍ وعاهُ سامِعٌ فَهِمُ[1]

دارت رحىٰ المعركة فوق الدّرب فصمد الروم لسيف الدولة أجسام بلا أرواح إذ جعل الشاعر تلك الأجسام الرومية هي التي تثبت في المعركة أي ثبتت طريحة علىٰ الأرض بلا أرواح.

وقَدْ تَمَنَّوْا غداةَ الدّرْبِ في لجَبٍ أنْ يُبْصروكَ فلمّا أبْصَروكَ عَمُوا
صَدَمْتَهُمْ بخميسٍ أنْتَ غُرَّتُهُ وسَمْهَرِيَّتُهُ في وجهِهِ غَمَمُ
فكان أثْبَتَ ما فيهم جُسُومُهُمُ يسقُطْنَ حولَكَ والأرواحُ تَنْهَزِمُ[2]

وويل «ابن شمشقيق» من تهكّم المتنبي، فقد تصوّر أبو الطيب أنّ ابن شمشقيق أعتذر عن يمينه التي حَلَفَها فسألها أن تسمح له فينثني عن الحرب وقد انثنىٰ، فنكص وهرَب، فراحت يمينه تبتسم استهزاء منه وهو يفرّ، وكلما أمعن بالفرار أمعنت يمينه بالابتسام.

وأَسْلَمَ ابنُ شُمْشُقيقٍ أليَّتَهُ إلاّ انثنىٰ فهْوَ ينْأَىٰ وهيَ تَبْتَسِمُ
لا يأمُلُ النَّفْسَ الأقصىٰ لِمُهْجَتِهِ فيسرقُ النَّفْسَ الأدْنىٰ ويَغْتَنِمُ
تردُّ عنه قنا الفُرسانِ سابغَةٌ صوْبُ الأسِنَّةِ في أثنائِها دِيَمُ[3]

وغاب الفتىٰ البطريق قائد الروم ممعناً في هربه بين الأدغال والأجسام ولولا ذلك لقُتِلَ وألقي للطير ليأكله، ثم دعا الشاعر علىٰ الشجر الذي أخفىٰ ذلك البطريق بأن لا يسقي الماء.

فلا سقىٰ الغَيْثُ ما وراهُ من شَجَرٍ لو زَلَّ عَنْهُ لواراىٰ شخصَهُ الرَّخَمُ[4]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢٣.
(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٣-٢٤.
(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٤-٢٥.
(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٥.

وأخيراً قفل سيف الدولة إلىٰ موطنه واندفع الناس يغنون ويطربون فرحاً بهذا الظفر العظيم، ودخل سيف الدولة حلب علىٰ جواده الجبار مردداً شكره لله وبيده سيفه (ذو شطب):

مُقَلّـداً فَـوقَ شُكْـرِ الله ذا شُطَـبٍ لا تُسْتـدامُ بـأمضـىٰ منهـا النِّعَـمُ[1]

ووسم المتنبي الروم ميسماً لا يبلىٰ علىٰ الزمان حيث يقول: لكثرة ما قتلت منهم أطاعوك ولم يخالفوك، إنّهم يطيعونك بغير قتل، إنّك أيّها الأمير تفنيهم بالقتل، فما تترك منهم أحداً حتىٰ يموت حتْفَ أنفه ولا تدعه حتىٰ يكبر فيهرم:

ألْقَـتْ إلَيْـكَ دمـاءُ الـرّوم طـاعتَهـا فلـوْ دعَـوْتَ بـلا ضَـرْبٍ أجـابَ دَمُ
يسـابِـقُ القَتْـلُ فيهـم كـلّ حـادثـةٍ فمـا يُصيبهُـمُ مـوْتٌ ولا هَـرَمُ[2]

وأخيراً يمدح الأمير بقوله: إنّ سيفَ الدولةِ يهدي إلىٰ دينِ الله:

القائِمُ المَلِكُ الهادي الذي شَهِدَتْ قيـامَـهُ وهـداهُ العُـرْبُ والعَجَـمُ

بعث الأمير سيف الدولة رسالة إلىٰ أبي الطيب الشاعر يطلب منه أن يعود إليه فقال الشاعر:

فَهِمْـتُ الكتـابَ أَبَـرَّ الكُتُـبْ فسمْعـاً لأمْـرِ أميـرِ العَـربْ[3]

يصف الشاعر المتنبي الأمير سيف الدولة بأنه سيف الله لا سيف الناس:

أيـا سَيْـفَ ربِّـك لا خَلْقِـه ويـا ذا المكـارِمِ لا ذا الشُّطَـبْ[4]

ثم يتطرق إلىٰ الروم فيقول إنّما جاءهم العدو لأن الأعداء أرجفوا أنك مريض:

وغـرَّ الـذُّمُسْتـوَ قـولُ العُـدا ةِ إنَّ عليّـا ثَقيـلٌ وَصِـبْ[5]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٤ ص٢٥.
(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص٢٦.
(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٩٦.
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص١٠٠.
(٥) المصدر نفسه جـ١ ص١٠١.

ثم يقول وبالرغم من مرضك فإنّك تقود الجيوش:

وقـــد عَلِمَـــتْ خيلُـــهُ أنَّـــهُ إذا هَـــمَّ وهْـــوَ عليـــلٌ رَكِـــبْ[1]

ثم يصف جيش الروم وكثرته الذي جاء من أجل حرب الأمير:

أتـــاهُـــمْ بـــأوْسَـــعَ مِـــنْ أرْضِهِـــمْ طـــوالَ السَّبيـــبِ قِصـــارِ العُسُـــبْ
تغيـــبُ الشّـــواهِـــقُ فـــي جيْشِـــه وتَبْـــدو صِغـــاراً إذا لـــمْ تَغِـــبْ
ولا تعبُـــرُ الـــرّيـــحُ فـــي جَـــوِّهِ إذا لـــم تَخَـــطَّ القَنـــا أوْ تَثِـــبْ
فَغَـــرَّقَ مُـــدْنَهُـــمُ بـــالجيـــوشِ وأخْفَـــتَ أصـــواتَهُـــمْ بـــاللَّجَـــبْ
فـــأخْبِـــثْ بـــه طـــالبـــاً قَهْـــرَهُـــمْ وأخْبِـــثْ بـــه تـــاركـــاً مـــا طَلَـــبْ
نـــأيْـــتَ فقـــاتَلَهُـــمْ بـــاللِّقـــاءِ وجِئْـــتَ فقـــاتَلَهُـــمْ بـــالهَـــرَبْ[2]

ثم يقول إنّ أهل الثغور خرّوا سجّداً لله عندما أنجدتهم ولو لم تأتِ لنجدتهم لسجدوا للصليب، كم طردت ومنعت عنهم الهلاك لمن بغىٰ عليهم فأهلكته.

فخـــرّوا لِخـــالِقِهِـــم سُجَّـــداً ولَـوْ لَـمْ تُغِـثْ سجـدوا للصُّلُـبْ[3]

ثم يركز المتنبي علىٰ ضرورة الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله وإذلال كلمة الشرك وتذكير المسلمينَ ليقوموا بواجباتهم الدينية والسياسية والعسكرية فيقول:

أرىٰ المُسْلِميـــنَ مَـــعَ المُشْـــرِكيـ ـيـــنَ إمّـــا لِعَجْـــزٍ وإمّـــا رَهَـــبْ
وأنْـــتَ مَـــعَ الله فِـــي جـــانِـــبٍ قليـــلُ الـــرُّقـــادِ كثيـــرُ التَّعَـــبْ
كـــأنّـــكَ وحـــدَكَ وحّـــدْتَـــهُ ودانَ البـــريَّـــةُ بـــابْـــنٍ وأبْ[4]

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص١٠١.
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص١٠١-١٠٢.
(٣) المصدر نفسه جـ١ ص١٠٣.
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص١٠٤.

هل كانت الحروب الحمدانية البيزنطية حروباً صليبية؟

تعارفَ المؤرخونَ علىٰ أنَّ بداية الحروب الصليبية كانت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة هجرية (١٠٩٥م) ولم تظهر هذه التسمية إلاّ في العصور الوسطىٰ مقترنة بظهور القوىٰ الصليبية الوافدة علىٰ بلاد الشام والتي اتخذت شارة الصليب علامة مميزة لها.

والحقيقة أنّ الصراع بين الديانتين الإسلامية والنصرانية بدأ قبل هذا الزمن بفترة طويلة، عندما بدأ المسلمون فتح بلاد الروم في عصر صدر الإسلام، لذلك لا ينبغي أن نمرَ علىٰ الحرب التي كانت مشتعلة بين الدولة الحمدانية في زمن الأمير سيف الدولة والدولة البيزنطية دون أن نقف قليلاً نتأمل تلك الهجمات المتوالية التي كان البيزنطيون يشنونها علىٰ الثغور الإسلامية بين حين وآخر، تلك التحرشات التي كان قادة الروم يقومون بها علىٰ أهالي الثغور من المسلمين، وعلينا أن نسائل أنفسنا عمّا إذا كانت تلك الحروب الكثيرة حروباً صليبية مبكرة أو لا؟

إنّ الحملاتِ التي كان يقومُ بها سيف الدولة الحمداني كانت حروباً وقائية فكثيراً ما كان يذهبُ إلىٰ الثغور الإسلامية ليجدد أسوارها ويعلي حصونها، فتتعرض له جيوش البيزنطيين، وحينئذ يضطر إلىٰ خوض غمار معركة حامية مع البيزنطيين، حتىٰ أصبح من عادة هذا الأمير أنْ يغزوَ في الربيع والصيف كما كان يفعل أسلافه من قادة المسلمين، ولكن هناك قرائن تاريخية تشير إلىٰ أنَّ تلك الحروب التي كان البيزنطيون يقومون بها ضد المسلمين كانت صليبية اللون والهدف والمقصد.

يقول مصطفىٰ الشكعة[1]: «يذهب بعض المؤرخين إلىٰ أن يوحنا تزمسكيس هو أول من فكّر في مشروع الحروب الصليبية حين فكر في استرجاع بيت المقدس

---

(١) مصطفىٰ الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص١٤٠-١٤١.

من المسلمين في زحفه علىٰ بلاد الشام سنة ٣٦٤هـ، ١٩٧٤م وبذلك يكون قد سيق إلىٰ فكرة الحرب الصليبية بوقت طويل، ولكن الواقع أنَّ القائد البيزنطي «نقفور فوكاس» الذي كان نِدّاً لسيف الدولة والذي سَبَقَ تومسكيس ببضعة عشر عاماً يُعدّ أول من تبنّىٰ الحرب الصليبية ونفذها بحيث سيطرت علىٰ كل تفكيره في كل غزوة شنها ضد المسلمين.

وقد أخذ هذا القائد يمهّد لفكرته الصليبية في القسطنطينية نفسها حين كان يظهرُ في أعياد الفسح مرتدياً ملابس غريبة مذهبة، منتعلاً نعلاً مذهباً تشبيهاً بالسيد المسيح.

لقد كان هذا القائد يحشد في مقدمة جيشه البطارقة والقساوسة، ويأمر الجنود بحمل الصلبان الكبيرة بحيث يعطي الحرب صبغة مقدسة وذلك كلما خرج لحرب الحمدانيين.

وكان يؤلف جيوشه من طبقات النصارىٰ المختلفة من روم وروس وبلغار وصقلب وأرمن، وخزر، تماماً كالجيوش الصليبية في هجماتها المعروفة فلم يكن يجمع بين الجنود من لغة أو جنس أو عادات اللهم إلاّ هدف الانتصار علىٰ المسلمين والاستيلاء علىٰ بيت المقدس وهذا ما فعله في معركة الحدث سنة ٣٤٣هـ، حيث صطحب معه «تودس الأعظم» صهر الدمستق وكان يتقدمهم الصليب.

وقد وصف شاعرنا المتنبي هذه الجيوش علىٰ اختلاف أجناسها بقوله:

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كأنّهُمْ ... سَرَوْا بجِيَادٍ ما لَهُنَّ قوائِمُ
إذا برَقُوا لم تعرفِ البيضُ منْهُمُ ... ثيابُهُمُ مِنْ مِثْلِها والعمائِمُ
خميسٌ بشَرقِ الأرضِ والغَربِ زَحْفُهُ ... وفي أُذُنِ الجَوْزاءِ منه زَمازِمُ
تجَمّعَ فيه كُلُّ لِسْنٍ وأمَّةٍ ... فما تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلا التراجِمُ[1]

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٨٤-٣٨٥.

وليس هناك من شيء أدل علىٰ أنّ الحربَ التي كان يقوم بها «نقفور فوكاس» حرباً صليبية من عمله حين استولىٰ علىٰ طرسوس فخرب المسجد وأرغمَ المسلمين علىٰ التّنصر ثم صعد المنبر وقال لمن حوله: أين أنا؟ قالوا: علىٰ طرسوس، قال: لا، ولكنني علىٰ مِنْبر بيتِ المقدس وقد كشف «نقفور فوكاس» عن نواياه حين وجه خطابه إلىٰ أهل القرىٰ المسلمين بعد عودته من الهجوم علىٰ حلب قائلا: ازرعوا فهذا بلدنا وبعد قليل نعود إليكم.

ففكرة الحروب الصليبية كانت الرائد الجوهري لحملات «نقفور فوكاس» واحتواء جيشه علىٰ تلك الأجناس المختلفة وإفْصاحه عن غايته مِنْ تلكَ الحروب كاسترداد بيتِ المقدس، كل ذلك كان دافعاً للمسلمين إلىٰ أنْ ينتبهوا إلىٰ هذا الخطر الذي يهدد ديارهم، ولذلك بدأت النجدات والإمدادات من مال ورجال تتواكب علىٰ حلب من الأمصار الإسلامية، فلقد سمعوا ما فعله فوكاس بإخوانهم من طرسوس والمصيصة وما أعمل في بلاد المسلمين من قتل وتخريب وإخراجهم من دينهم وتحويلهم إلىٰ النصرانية ونهب المساجد وحرق المنابر، كل ذلك نبه المسلمين، فتوافدت آلاف من الجنود المسلمين من شرق الدولة الإسلامية مجهزين بسلاحهم وانضموا إلىٰ سيف الدولة وبدأوا يندفعون إلىٰ الثغور الإسلامية لتحريرها والانطلاق خلف البيزنطيين للثأر.

كانت الجيوش الإسلامية قبل أنْ تنطلقَ إلىٰ الأراضي البيزنطية تتزود بالخطب والقصائد التي تحثّهم علىٰ الجهاد والاستماتة في سبيل الله، فإمّا نصرٌ وإما شهادة وجنات تجري من تحتها الأنهار، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

علىٰ هذا النهج من الحرب سار نقفور فوكاس ومن أتىٰ من بعده من أباطرة البيزنطيين وعلىٰ هذا النهج من الدفاع والإحساس بالخطر خاضت الجيوش الإسلامية المعارك ضد عقيدة التثليث.

وعلىٰ هذا الأساس يمكن أنْ يقال إنّ حرب البيزنطيين لسيف الدولة كانت حروباً صليبية صريحة مبكرة، وقد استمر الصراع بين الإسلام والنصرانية حتىٰ العصر الحاضر متخذاً أشكالاً عديدة من أبرزها التبشير، وأول من بدأ التبشير في البلاد الإسلامية «ريمون لول» وذلك يعد فشل الحروب الصليبية فتعلم هذا المبشر اللغة العربية وطاف في البلاد العربية الإسلامية وناقش علماء المسلمين في كثير من المسائل»[1].

* * *

(١) الغارة علىٰ العالم الإسلامي: محب الدين الخطيب ص٢٩.

الخاتمة

الخاتمة

تحدثت في هذا البحث «الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي» عن الصراع بين المسلمين والروم البيزنطيين في القرن الرابع الهجري، ودور الدولة الحمدانية في هذا الصراع لا سيّما زمن الأمير سيف الدولة الذي أخذ علىٰ عاتقه مقارعة الروم، فقد خاض حوالي أربعين غزوة مع الروم كانت أغلبها له وأقلّها عليه.

ثم تحدثت عن الشاعر المتنبي الذي عاش في كنف الأمير سيف الدولة منذ عام ٣٣٧-٣٤٥هـ وعن ثقافة هذا الشاعر، حيث كان مثقفاً ثقافة عربية إسلامية واسعة، فالشاعر كان واسع الاطلاع، وكان إماماً من أئمة العربية، فقد حذق العربية شعراً ولغة وإعراباً، وقد كان ملازماً لدكاكين الوراقين، وهذه الملازمة هيأت له سبيل الاتصال بكثير من المثقفين، كما أن الشاعر اتصل بكثير من العلماء كأبي علي الفارسي، وابن خالويه، وابن جني، وابن دريد وغيرهم، وقد طلب العلم وعلم العربية ونظر في أيام الناس، وتعاطىٰ قول الشعر منذ حداثته حتىٰ بلغ فيه الغاية التي فاق فيها أهل عصره، وعلا شعراء وقته، كان لا يسأل عن شيء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر حتىٰ قيل إن أبا علي الفارسي قال له يوماً: كم لنا من الجموع علىٰ وزن فِعلىٰ؟ فقال له في الحال: حِجلىٰ وظِربىٰ.

قال الشيخ أبو علي: «طالعت كتب اللغة ثلاث ليال علىٰ أن أجد لها ثالثاً فلم أجد.

ثم تحدثت عن اتهام أبي الطيب بالتنبؤ وقسمت الذين اتهموه إلىٰ:

أولاً: موقف القدماء: وقسمت موقف القدماء إلىٰ ثلاث فئات:

الفئة الأولىٰ: هذه الفئة قبلت ادّعاء النبوة، ومن أعلام هذه الفئة البغدادي، وابن خَلِّكان، والبديعي.

الفئة الثانية: وهذه الفئة متحفّظة، ومن أعلامها الثعالبي.

الفئة الثالثة: وهذه الفئة أنكرت التنبؤ، ومن أعلامها أبو العلاء.

ثانياً: ثم أخذت موقف المحدثين وقسمته إلىٰ ثلاث فئات:

الفئة الأولىٰ: وهذه الفئة قبلت ادّعاء النّبوّة، ومن أعلامها الأفغاني.

الفئة الثانيـة: وهذه الفئة فئة متحفّظة، ومن أعلامها العقاد.

الفئة الثالثـة: وهذه الفئة أنكرت ادّعاء المتنبي للنّبوّة، ومن أعلامها طه حسين، محمود شاكر، محمد عبد الرحمٰن شعيب، هادي نهر.

ثالثاً: موقف المستشرقين: رفضوا اتهام المتنبي بالنبوة ونسبوه إلىٰ القرامطة.

وقد توصلت إلىٰ أنّ المتنبي لم يدَّع النبوة وإنّما طالب بحقه في العلوية فسُجِنَ وكان من وراءِ سِجْنه الحاقدون والحاسدون له والفاطميون والتنوخيون وأنّ الذي ادّعىٰ النّبوّةَ هو أحمد الأصبهاني الذي عاش في العصر نفسه الذي عاش فيه الشاعر.

ثم تطرقت في الحديث عن القرامطة وهي فئة تنتسب إلىٰ حمدان قرمط عقيدتها فاسدة تُؤله العقل، وهدفها تخريب الإسلام، وشعارها القتل وسفك الدماء وقد أباحت المحرّمات، وقد نسب المستشرقونَ إلىٰ المتنبي الاتصال بهذه الفرقة، وأول من أحدث هذا الرأي (القرامطة) بلاشير، وقيّدَ قوله في دائرة المعارف الإسلامية، ثم في كتابه عن أبي الطيب، كما أنّ ماسينيون ألّفَ في مؤتمر المستشرقين الأخير الذي عقد في رومية بحثاً ادّعىٰ فيه أنّ أبا الطيب كان قرمطياً وقد تلقف هذا النبأ طه حسين وأثبت ذلك في كتابه مع المتنبي، وقد بينت أنّ الشاعر بريءٌ من كل ما اتهم به للأسباب التالية:

١ ـ أنّ أبا الطيب كان يكره سيادة العبيد والخدم، وهؤلاء استعان بهم القرامطة وجذبوهم إليهم.

٢ ـ أن أبا الطيب كان يحتقر النبط، والقرامطة نَمَتْ بين النَّبْط.

٣ ـ أن الشاعر لم يثبت أنّه مدح قرمطياً واحداً، ولم تؤثر عنه علاقة أو اتصال بهم وأنّ أبا الفضل لم يكن قرمطياً وإنّما كان من المتفلسفة، كما أنّ الشاعر حارب القرامطة حين هجومهم علىٰ الكوفة، كما أن الشاعر لم يثبت أنه حض علىٰ الانتساب إلىٰ مذهبهم.

٤ ـ لم يشع في أيّ مرجع قديم ما يشير إلىٰ هذه التهمة ولو شاع لتلقفه حساد المتنبي القدماء.

٥ ـ ألحّ علىٰ الأمير سيف الدولة من أجْل القضاء عليهم.

٦ ـ أن الشاعر كان عربياً صحيح النسب يعتز بعروبته علىٰ حين كان للأعاجم دور كبير في توجيه القرامطة من أجْل القضاء علىٰ الإسلام حتىٰ إنّ أبا طاهر الجنابي زعيم القرامطة سمىٰ ابنه «سابور» علىٰ اسم ملك الفرس كناية عن العمل لإعادة سلطانهم الغابر.

ثم عرجت إلىٰ علاقة سيف الدولة بالشاعر منذ عام ٣٢١هـ عندما مدحه بقصيدة لما كان في «رأس عين» وتحدثت عن التقائهما بأنطاكية سنة ٣٣٧هـ عند أبي العشائر، وعن المدة التي قضاها المتنبي في كنف الأمير ٣٣٧-٣٤٥هـ، وعن القصائد التي قالها في مدح الأمير والتي تعادل ثلث شعر الشاعر وهي أفضل ما قاله الشاعر من الشعر، وتحدثت عن اشتراك الشاعر في ساحة القتال مع الأمير وحلّلت القصائد الجهادية التي قالها الشاعر في مدح الأمير والتي فيها كان يحثّ علىٰ قتال الكفار الروم من أجل إعلاء كلمة الله.

بعد ذلك عرجت علىٰ عقيدة الشاعر، وأثبتُّ أنَّ الشاعر كان مسلماً مؤمناً لم يتهم بإلحاد أو زندقة باستثناء تهمة التنبؤ وإن في شعره إثبات للركن الأول من أركان الإيمان وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

فالشاعر كان يؤمن بالله والملائكة والشياطين والكتب السماوية والأنبياء ويؤمن بالبعث والحياة والموت.

كما أن الشاعر قد حفظ القرآن الكريم وظهر أثر ذلك في اقتباسه من القرآن الكريم، كما أن الشاعر كان علىٰ دراية في بعض الأحكام الفقهية والتصوف الإسلامية.

كما أن الشاعر كان يدعو إلىٰ توحيد صفوف المسلمين من أجل القضاء علىٰ العدو البيزنطي أولاً، وعلىٰ الأعاجم الذين تسللوا إلىٰ الحكم ثانية.

وأخيراً شاعرنا مسلم، مؤمن، عربي، صحيح النسب لم يتنبأ ولم يتقرمط وإنما دعا إلىٰ توحيد صفوف المسلمين وعمل من أجل إرجاع الحكم إلىٰ العرب وأعني بذلك إلىٰ أصحاب الحق الشرعيين وأنه كان علوياً عربياً، وأن في شعره كثيراً من الملامح الإسلامية ولو لم يكن إلاّ شعر الجهاد لكفاه ذلك.

* * *

الفهارس

١ ـ فهرس المراجع والمصادر.

٤ ـ فهرس الموضوعات (محتويات البحث).

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

١ - ابن الأثيـــر: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكـرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

٢ - ابن الأثير الموصلي: ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي، ت ٦٣٧هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٩م.

٣ - ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن يوسف تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٤ - ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، لسان الميزان، مؤسسة الأعلى للمطبوعات والنشر، ط٢، ١٩٧١م.

٥ - ابن خلدون: عبد الرحمٰن بن خلدون المغربي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٨م.

٦ - ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨م.

٧ - ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤.

٨ - ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.
٩ - ابن ماكولا: الحافظ ابن ماكولا، ت ٤٧٥هـ الإكمال في رفع الارتياب، حيدر آباد الدكن الهند، ط٢.
١٠- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري الافريقي، ت٧١١هـ، لسان العرب، بيروت.
١١- أحمد أمين: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط٥، ١٩٦٩م.
١٢- أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٢.
١٣- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة، ١٩٧٢م.
١٤- الأرناؤوطي: هدى الأرناؤوطي، ثقافة المتنبي وأثرها في شعره، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ط١، ١٩٧٧م.
١٥- ألتونجي، محمد ألتونجي، المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس، الشركة المتحدة، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
١٦- الأنباري: كمال الدين عبد الرحمٰن بن محمد الأنباري، ت٥٧٧هـ، نزهة الألباء في طبقات الادباء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر.
١٧- البديعي: يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثيّة المتنبي، تحقيق مصطفىٰ السقا، دار المعارف، ١٩٦٣م.
١٨- البرقوقي: عبد الرحمٰن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي ١٩٣٨م.
١٩- بروكلمان: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م.
٢٠- تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨م.
٢١- البستاني: بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م.
٢٢- البغدادي: عبد القادر بن عمر البغدادي، ت ١٠٩٣هـ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الأميرية، بولاق، ط١، ١٢٩٩هـ.

٢٣- البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن ظاهر بن محمد التميمي البغدادي، ت ٢٢٩، الملل والنحل.

٢٤- البغدادي: الملل والنحل، تحقيق البير نصري نادر، دار الشروق، بيروت، لبنان.

٢٥- بلاشير: بلاشير، أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.

٢٦- البيطار: أمينة البيطار، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين، ص١٦٧، ٢٣٤، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٠، دار دمشق.

٢٧- الثعالبي: أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق إيليا حاوي، ١٩٦٨م.

٢٨- الجبوري: عبد الله الجبوري، أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، بغداد.

٢٩- الجرجاني: علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٠- الجندي: درويش الجندي، الشعر في ظل سيف الدولة، مكتبة الإنجلو المصرية، ط١، ١٩٥٩م.

٣١- معتوق: جورج عبده معتوق، المتنبي شاعر الشخصية القومية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

٣٢- الحاتمي: محمد بن الحسن الحاتمي، الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره: تجقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، ١٩٦٥م.

٣٣- حتي: فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تحقيق: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

٣٤- حسن إبراهيم حسن: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٦٤م.
٣٥- الحموي: ياقوت الحموي، ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٧م.
٣٦- الخطيب: أحمد بن علي الخطيب، ت ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٧- الخطيب: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي، الغارة على العالم الإسلامي، الدار السعودية للنشر.
٣٨- خليف: يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
٣٩- الخوانساري: ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ.
٤٠- الزبيدي: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة.
٤١- الزركلي: خير الدين الزركلي، الاعلام، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين.
٤٢- سهيل عثمان: سهيل عثمان، ومنير كنعان، المحصول الفكري عند المتنبي، دار الإرشاد، ط١، ١٩٦٩م.
٤٣- السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمٰن، ت ٩١١هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، ١٩٦٤م.
٤٤- شراره: محمد شرارة، المتنبي بين البطولة والاغتراب، تحقيق: حياة شرارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨١م.
٤٥- شعيب: محمد عبد الرحمٰن شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨م.
٤٦- شلق: علي شلق، المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً تأسر الزمان، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ط١، ١٩٧٧م.

٤٧- الشكعة: مصطفىٰ الشكعة، سيف الدولة الحمداني، الدار المصرية للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧١م.
٤٨- الشكعة: مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨م.
٤٩- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت٥٤٨هـ، الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٥٠- شوقي ضيف: شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧٠م.
٥١- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٣م.
٥٢- شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف بمصر، ط٢.
٥٣- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ط١٠.
٥٤- الطبري: أبو جعفر بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.
٥٥- طٰه حسين: طٰه حسين، مع المتنبي، دار المعارف بمصر، ط١٢.
٥٦- الطيب: عبد الله الطيب، الطبيعة عند المتنبي، وزارة الإعلام العراقية، بغداد ط١، ١٩٧٧م.
٥٧- عباس حسن: عباس حسن، المتنبي وشوقي وإمارة الشعر، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٣م.
٥٨- عبد الجليل حسن عبد الهادي: عبد الجليل حسن المهدي، أبو فراس الحمداني، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٩٨١.
٥٩- عبد الحميد لطفي: عبد الحميد لطفي، المتنبي فارس الفكر العربي، دار الحرية، بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٧م.
٦٠- عبد الوهاب عزام: عبد الوهاب عزام، ذكرى أبي الطيب بعد الف عام، ط٣، ١٩٦٨م.

٦١- العبد الله: كامل العبد الله، شعراء من الماضي، منشورات دار مكتبة الحياة، ط١، ١٩٦٢م.

٦٢- العشماوي: محمد زكي العشماوي، موقف الشعر العربي من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٦٣- العقاد: عباس محمود العقاد، آراء في الأدب والفنون، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

٦٤- العقاد: ساعات بين الكتب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.

٦٥- العقاد: مطالعات في الكتب والحياة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م.

٦٦- العكبري: عبد الله بن الحسين العكبري، ت٦١٦هـ، التبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

٦٧- العياش: سامي العياش، الإسماعيليون في المرحلة القرمطية، دار ابن خلدون، بيروت.

٦٨- غربال: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، ط٢، ١٩٧٢م.

٦٩- الغريب: عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس، دار الجيل، ١٩٨١م.

٧٠- فاعور: أحمد صالح الحاج شتيوي فاعور، الدولة الحمدانية في حلب ودورها في التاريخ الإسلامي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، مخطوط ٤٢٣ صفحة.

٧١- الفندي: محمد ثابت الفندي، وجماعته، دائرة المعارف الإسلامية، ١٩٣٣م.

٧٢- القنوجي: صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٧٣- الكبيسي: حمدان عبد المجيد الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر بالله، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٧٢م.

٧٤- كوركيس عواد: كوركيس عواد، رائد الدراسة الأدبية عند المتنبي، دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩م.
٧٥- الكيالي: سامي الكيالي، سيف الدولة وعصر الحمدانيين، دار المعارف بمصر.
٧٦- مارون عبود: مارون عبود، الرؤوس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٦٧م.
٧٧- ماريوس كنار: ماريوس كنار، الأمير سيف الدولة الحمداني، خزانة الكتب العربية، الجزائر، ١٩٣٤م.
٧٨- المازني: إبراهيم عبد القادر المازني، حصاد الهشيم، دار الشروق، ط٣، ١٩٧٦م.
٧٩- المحاسني: زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٠م.
٨٠- المتنبي: دار المعارف، ط٥.
٨١- محمد كامل حسن: محمد كامل حسن، المتنبي، تحقيق عادل نويهض، المكتب العالمي، ١٩٧٥م.
٨٢- محمود محمد شاكر: محمود محمد شاكر، المتنبي، مطبعة المدني، ط١، ١٩٧٧م.
٨٣- المسامي: محمد مصطفىٰ المسامي، شعراء مصر من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، ١٩٨٠م.
٨٤- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١٩٦٦م.
٨٥- المعري: أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطىء) دار المعارف بمصر، ط٤.
٨٦- الملاح: عبد الغني الملاح، المتنبي يسترد أباه، مطبعة الناجي، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.

٨٧- ملحس: ثريا عبد الفتاح ملحس، القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٨٨- نبيلة إبراهيم: نبيلة إبراهيم، روميات المتنبي، مخطوط جامعة القاهرة رقم ٢٧/ ٩٥٤، رسالة ماجستير.

٨٩- نصرت عبد الرحمٰن: نصرت عبد الرحمٰن، شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ في العصر العباسي، حتى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٩٧٧م.

٩٠- نوري جعفر: نوري جعفر، الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي، مطبعة الزهراء، بغداد، ط١، ١٩٧٦م.

٩١- هادي نهر: هادي نهر، مع المتنبي في شعره الحربي، مطبعة الجامعة، بغداد، ط١، ١٩٧٩م.

٩٢- الهنداوي: خليل الهنداوي، سيف الدولة الحمداني، دار الشروق العربي، ط١.

٩٣- وجدي: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت.

٩٤- الولي: طه الولي، القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٩٥- اليازجي: ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار العلم، بيروت، ط٢.

ثالثاً: الدوريات:

١ - الألوسي: جمال الدين الألوسي، مجلة العربي، ع٢٢٦، ١٩٧٨م.
المتنبي: شاعر كل العرب ص٣٧-٤٠.

٢ - خلوصي: صفاء خلوصي، مجلة العربي، ع١٦٣، ١٩٧٢م.
ابن جني صديق المتنبي وشارح ديوانه ص١٢٨-١٣٤.

٣ - دواره: فؤاد دواره، مجلة الكويت، ع٧، ١٩٨١م.
ثورة المتنبي ص٥١-٥٥.
٤ - السامرائي: عبد الجبار محمود السامرائي، مجلة العربي، ع١٥٦، ١٩٧١م.
شعر الملاحم في الأدب العربي ص٦٧-٧١.
٥ - العسلي: بسام العسلي، مجلة القدس، ع٢٩، ١٩٦٢م.
مجاهدون في سبيل الله، الحمدانيون وحرب الثغور.
٦ - قلعجي: قدري قلعجي، المجلة العربية، ع٧، ٨.
المتنبي فارساً.
المتنبي وسيف الدولة، السعودية.
٧ - كنون: عبد الله كنون الحسني، مجلة الرسالة، ع١٢٩، ١٣٠ سنة، ١٩٣٥م.
السنة الثالثة.
المتنبي في ديوانه بمناسبة ذكراه الألفية.
٨ - الهاشمي: عادل الهاشمي، مجلة الأديب، جـ١١، السنة الثامنة عشرة المجلد ٣٦، بيروت، ١٩٥٩م.
المتنبي، بطولة متفجرة في إهاب شاعر.
٩ - مجلد المورد، المجلد السادس، ع٣، ١٩٧٧م.
عدد خاص عن أبي الطيب المتنبي.